الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليـم العالي والبحث العلمـي

جامعـة عبد الحميـد بن باديس - مستغانم-

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الأدب العربي

UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستير في الأدب العربي

تخصص: دراسات أدبية مقارنة

بعنوان:

أثــر الشعـر الأندلســي في الشعــر الأوروبــي

- شعر التروبادور أنموذجاً -

من إعداد الطالب:

- عبد الرحمن بوحفص

بإشراف :

- الدكتورة: طانية حطاب

أعضاء لجنة المناقشة

-..رئيسا

- الدكتورة: طانية حطاب.................................مشرفا ومقررا

-..مناقشا

السنة الجامعية :1436 هـ - 1437هـ

2015م – 2016م

الإهداء

أهدي عملي هذا

إلى جدتي الغالية " عائشة " أطال الله في عمرها ورعاها.

إلى جدي المرحوم " ابن أحمد " رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه .

إلى أمي العزيزة حفظها الله تعالى ورعاها

إلى أبي العزيز المتوفى " محمد " رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه .

إلى إخوتي الأعزاء وأخواتي العزيزات

إلى عائلتي الموسعة من ماتوا ومن هم أحياء

إلى كل الأقارب

إلى كل أصدقائي وزملائي

إلى عائلة كرة القدم : الخضر ، سعدان، والمرحوم كرمالي

إلى المرحومة تلميذتي في قسم التحضيري " هدى " رحمها الله تعالى وأسكنها فسيح جنانه.

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل البسيط

إلى الأستاذة المشرفة " حطاب طانية "

عبد الرحمن

دعاء وشكر

" *اللَّهُمَّ لا سَهْلَ إِلا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلا* ، وَأَنْتَ إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ الْحَزَنَ سَهْلا "

"للهم علّمنا ما ينفعنا و زدنا علماً اللهم وفقنا لما تحب وترضى"

* في المقام الأول أشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لي لأجل إنجاز هذا البحث إنه ولي ذلك والقادر على كل شيء .

انقدم بجزيل الشكر و العرفان و التقدير إلى كل ما ساهم في اخراج هذا العمل الأدبي المتواضع خاصة أستاذتي المشرفة "حطاب طانية "

وكل من ساعدني من قريب أو بعيد فيما يخص اقتناء الكتب أو تقديم نصائح وتوجيهات

كما لا يفوتني أن أقدم جزيل الشكر إلى أساتذة لجنة المناقشة على ما سيبذلونه من جهد في قراءة هذه المذكرة و تقويمها و أسأل الله لهم أن يكرمهم ويجزيهم خير جزاء .

و الله و لي التوفيق

مقدمة

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف الخلق أجمعين ، وعلى أله وصحبه إلى يوم الدين أما بعد :

لقد حل العرب بأرض غير أرضهم ضمن سلسلة الفتوحات الإسلامية ، والتي بدأوها من شبه الجزيرة العربية وصولا إلى شمال إفريقيا، ومن ثم إلى أرض الأندلس بإسبانيا هذه الأخيرة التي إستقروا بها قرابة ثمانية قرون ، فعملوا على نشر الدين الإسلامي ، وأقاموا حضارة راقية ، وكان الازدهار عنوانهم في عدة مجالات ، ومن ذلك مجال الأدب ، ومنه الشعر الذي نظمه الأندلسيون نتيجة ثقافتهم الواسعة حيث قلدوا المشارقة في بعض الأغراض، ووسعوا في بعضها ، ومن ثم استحدثوا أنواعاً شعرية أخرى منها **" الموشحات والأزجال"** التي شكلت عندهم سمة مميزة في أدبهم ، وهذا الذي جعل شعراء الغرب ، ومنهم التروبادور يتأثرون بشعرهم بسبب احتكاكهم المباشر بهم .

لقد اخترت هذا الموضوع الذي عنوانه **" أثر الشعر الأندلسي في الشعر الأوربي شعر التروبادور أنموذجاً "** ، الأنه جدير بالدارسة ، ولأنه يؤرخ لمرحلة أدبية راقية بلغها شعراء الأندلس، **وهنا يطرح السؤال : ما لذي جعل شعراء الأندلس يستحدثون ويبتكرون الموشحات والأزجال ؟ وكيف أثر شعر الأندلس المستحدث في الشعر الأوربي ؟ وماهي جوانب التأثير في ذلك ؟**

من أجل ذلك قسمت هذا البحث إلى مدخل وثلاثة فصول : حيث ذكرت في المدخل " تاريخ الأندلس وجغرافيتها " من حيث الأصل والنشأة والمناخ والمساحة والخيرات الطبيعية وكذا الأمم التي استوطنتها .

وفي الفصل الأول الموسوم بــ: " دخول العرب إلى الأندلس" وهو مجال تاريخي فقد تطرقت فيه إلى موجة الفتح وأهم المدن الأندلسية وأسباب سقوط الاندلس .

أما في الفصل الثاني المعنون بــ: " الشعر في الأندلس " فقد بينت فيه تقليد أهل الأندلس في شعرهم للمشارقة وأيضاً توسعهم في بعض الأغراض وأخيرا ذكرت ما استحدثوه من موشحات وأزجال بالإضافة إلى رثاء المدن والمالك .

أما الفصل الثالث والأخير فكان تطبيقياً فقد بينت فيه أثر الموشحات والأزجال الأندلسية في شعر التروبادور في جوانب عديدة منها : البناء الشعري ومنه نظام القافية وبناء القصيدة ، ثم من حيث الموضوعات الغزلية : كالحب المؤنس والحبيبة المجهولة ، ثم أخيراً خصائص هذه الموضوعات كشكوى الفتاة والوفاء والتضحية .

أما من حيث المنهج المتبع فكان تاريخياً وصفياً تحليلياً ، ففي المدخل والفصل الأول استعنت بالمقاربة التاريخية ، وفي الثاني والثالث تناولت المنهج الوصفي التحليلي فيهما .

وقد اعترضتني بعض الصعوبات التي تواجه أي باحث في بداية طريقه أهمها عدم حصول على بعض مصادر الأدب البر وفنسي الخاص بشعر التروبادور بلغته الأصلية مما جعلني ألجأ إلى بعض المصادر والمراجع التي يسرت لي سبيل الدراسة أهمها :

1- " الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور " للدكتور محمد عباسة الذي اعتمدت عليه بشكل واضح .
2- " الأدب العربي في الأندلس " للدكتور عبد العزيز عتيق .
3- " تاريخ الأدب العربي " للدكتور عمر فروخ .

وأخير لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأستاذتي المشرفة " حطاب طانية " ، على اسهامها في وضع خطة هذا البحث و تشجيعي للمضي قدما فيه جزاها الله خير جزاء ، وإلى كل من مد لي يد العون من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع .

" و الله أسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه انه نعم المولى ونعم النصير"

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين إلى يوم الدين

مدخل

❖ المـدخل: تـاريخ الأنـدلس وجغرافيتـها

1)- نبذة عن الأندلس

2)- مساحتها وأبعادها

3)- مناخها وخيراتها

نَبذة عَنِ الأندلس:

الأنْدلُسُ: يُقال بضم الدّال وفتحها، وضمّ الدّال ليس إلاّ: هي كلمة عجميّة تستعملها العرب في القديم، وإنّما عرفتها العرب في الإسلام، وقد جرى على الألسُنِ أن تلزم الألِفُ و اللاّمُ، وقد اسْتُعمِل حذفهما في شعر ينسب الى بعض العرب، فقال عن ذلك:

سألْتُ القوْمَ عنْ أنسٍ؟فقالواْ: بأندلُسٍ،وأندلُس بَعيدُ

وأنْدَلُسُ: بناءٌ مستنكرٌ، فُتِحت الدّال أو ضُمت، وإذا حُملت على قياس التصريف وأُجْرِيت مجرى غيرِها من العربي فوزنها: **فَعْلُلُ** أو **فَعْلَلُ** وهما بناءان مستنكران ليس في كلامهم مثل: **سَفْرُجُلُ، سَفْرَجُلْ.**

أما الأنْدَلُسُ: فجيرة كبيرة، طولها نحو الشهرين في نيف وعشرين مرحلة، وقال: هي جزيرة كبيرة ذات ثلاثة اركان مثل شكل المثلّث قد أحاط بها البحران، المحيط والمتوسط، **فالرّكن الأوّل:** الذي فيه صنم قادس وعنده مخرج البحر المتوسّط، **والرّكن الثاني:** شرقي الأندلس بين مدينة اربونةوبُرديل، **والرّكن الثالث:** هو ما بين الجوف والغرب من حيّز جليقية.[1]

و الأندَلُسُ: إحْدى مقاطعات إسبانيا، إسمها في الأصل (**وَنْدَلُوسْياَ**)نسبة الى (**الوندال**) أو (**الفندال**):وكانوا قد إستوطنوها بعد الرّومان، فلمّا فتحها العرب سمَّوها الأَندلُس، ثم أطلقو هذا الاسم على اسبانيا كلها.[2]

قال ان سعيد: إنّما سمّيت **بأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح** لأّنه نزلها، كما انّ أخاه **سبت بن يافث** نزل العدوة المقابلة لها، وإليه تنسب سبتَة.

وقال: وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللّسان العربيّ، لأنّهم إما عرب أو متعربون.

وقال ابن غالب: إنّه **أندلس بن يافث، والله تعالى اعلم.**[3]

1- ياقوت الحموي: "معجم البلدان"، تحقيق: وستنفيلد، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1984، المجلد 1، ص(262).

2- جرجي زيدان: "فتح الأندلس"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007،ص(1).

3- أحمد بن المقرّي التلمساني: "نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب"، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، 2008، المجلد 1، ص(125).

من خلال هذه التعريفات تبيّن لنا أنّ " **الأندلس** " كلمة ضاربة في جذور التّاريخ وأنّها عجميّة الأصل عرّبها العرب بعد مجيء الإسلام وخصوصا عند دخلها العرب المسلمون فاتحين.

مساحتها وأبعادها:

قال المسعودي: بلاد الأندلس تكون مسيرة عمائرها ومدنها نحو شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة.

ونَحوِه لابن اليسع إذ قال: طولها ممن **أربونة** آخر ما استولى عليه العرب من جهة السّاحل الأندلسي الشّرقي إلى **أشبونة** هي التي تسمى اليوم **لشبونة** (LISBON) أو **ليسبوا** عاصمة البرتغال، وهو قطع **ستّين يَومًا** للفارس المجّد، وقدْ قال جماعته إنّها **شهرٌ ونصفٌ**.

قال ابن سعيد: وهذا ما يقرُبُ إذا لم يكن للفارس المجدّ، والصّحيح ما نصَّ عليه **"الشريف الإدريسي"** مؤلف كتاب **"نزهة المشتاق"** من أنّها **مسيرةُ شهرٍ**.

قال الحجازي في وضع كتابه: إنَّ طول الأندلس من الحاجز إلى أشبونة **ألف ميلٍ ونيِّف**.

قال ابن سعيد: ومسافة الحاجز الذي بين بَحرِ الزّقاق والبحرِ المحيط **أربعون ميلاً**، وهذا عرضُ الأندلس عِند رأسها من جهة الشّرق ولقلّته سميت **جزيرةً**، واتفقوا على أنّها **مثلّثة الشكل**، حيث حقّق في الأمر **"الشريف"** وهو أعرف بتلك الجهة لتردّده إليها في الأسفار برًّا وبحرًا وتفرّغه لهذا الفنّ.[1]

مناخها وخيراتها:

قال الوزير لسان الدِّين بن الخطيب في بعض كلامٍ له أجرى فيه ذكر البلاد الأندلسية: "خص الله تعالى بلاد الأندلس منَ الرِّيح وغدق السُّقيا، ولذاذة الأقوات، وفراهة الحيوان، ودرور الفواكه، وكثرة المياه، وتبحّر العمران، وجودة اللّباس، وشرف الآنيّة، وكثرة السّلاح، وصحّة الهواء، وابيضاض ألوان الإنسان، ونبل الأذهان، وقبول الصّنائع، وشهامة الطِّباع، ونفوذ الإدراك، وإحكام التمدّن والاعتمار، بما حرمه الكثير من الأقطار ممّا سِواها".

1- أحمد بن المقرّي التلمساني: "نفح الطيّب من غصن الأندلس الرّطيب"، المجلد 1، ص(127-128).

وقال أبو عامر السّالمي: في كتابه المسمّى بـ **"درر القلائد، وغَرَرُ الفوائد":** الأندلس من الإقليم الشّامي وهو خيرُ الأقاليم وأعذلها هواء وترابًا، وأعذبها ماءًا، وأطيبها هواءًا وحيوانًا ونباتًا، وهو أوسط الأقاليم، وخير الأقاليم أوسطها.

وقال أبو عبيد البكري: الأندلس شاميّة في طيبها وهوائها، يمانيّة في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينيّة في جواهر معادنها، عدنيّة في منافع سواحلها ....

وقال: فيها آثار عظيمة لليونانيّين أهل الحكمة وحملي الفلسفة، وكان مِنْ ملوكهم الذين أثّروْا الآثار بالأندلس **هرقلس**، وله الثر في الصّنم بجزيرة قادس، وصنم جلّيقّية والأثر في مدينة **طرّكونة (**tarragona**)** الذي لا نظير له.[1]

وقال الرّازي: في موضع آخر نحو ما تقدّم وزيّادةً ونصُّه: أنّ الأندلس في آخر الإقليم الرّابع من الأقاليم السّبعة التي هي ربع معمور الدّنيا، فهي متوسّطة من البلدان، كريمة البقعة بطبع الخلقة، طيّبة التّربة، مُخْصبة القاعة، مُنْبجِسة العيون الثّرار، منفجرة بالأزهار الغِزار، قليلة الهوامذوات السموم، معتدلة الهواء، أكثر الأزمان لا يزيد قيضها زيادة منكرةٌ تضرُّ بالأبدان، وكذا سائر فصولها في أعمّ سنيها تأتي على قدر من الاعتدال وتوسّطٍ من الحال، وفواكهها تتّصل طول الزّمان فلا تكاد تّعدِمُ....

وقال المسعودي في "مروج الذهب": والعنبر كثير ببحر الأندلس يجْهزُ الى مصر وغيرها، ويحمل الى قرطبة من ساحل لها يقال له **شَنْتَّرِينَ و شذْونَة**.

وذكر البعض: أنّفي بعض بلاد الأندلس جميع المعادت السّبعة وهي: الرصاص من زحل، والقصدير الأبيض من المشتري، الحديد من قسم المريخ والذّهب من قسم الشّمس، والنّحاس من الزّهرة، والزّئبق من عطارد، والفّضة من القمر.[2]

1- أحمد بن المقرّي التلمساني: "نفح الطيّب من غصن الأندلس الرّطيب"، المجلد 1، ص(126).
2- المصدر نفسه، المجلد1، ص(143-144)

استنتج من خلال هذه الأقوال والتي تذكر خيارت هذه الجزيرة الطيّبة أنّها بحقٍّ أرضٌ وصفت بأحسن وأفضل الأوصاف الّتي هي نعم الله تعالى في الأرض، وأنّها بِحّقٍ جنّة في الأرض، وهذا ما ذهب والتجأ إليه الشّعراء الأندلسيّون فراحوا يصفونها بهذه الأبيات:

يقول ابن اللّبانة:

بلَد أعارَتْهُ الحَمامَةُ طَوقَـــها   وكَسَاهُ حُلَّةَ ريشه الـطَّاوُوسُ

فَكأنَّمَا الأنْهَارُ فيه مُـدامـــةٌ   وكأنَّ ساحاتِ الديّارِ كـــؤوسُ

وما احسن قول **"ابن خفاجة"** شاعر الطّبيعة الأكبر توفي **توفّي سنة553هـ:**

إنّ للـجـــنّـةِ بالأنــدلُسِ   مُجْتَـــلَـى حُسْـنٍ وَرِيًّا نَـفَسِ

فَسَنَا صُبْـحَتُــها من شنبٍ ودُجـى ليـلتِهَا مــن لَعَــسِ

وإذا ماهَبّتِ الرّيــــحُ صَبـًا   صِحْتُ واشَوْقِي إلى الأنْدلُسِ .[1]

الأمم التي استوطنت الأندلس:

قال ابن النظّام: وأوّلُ منْ سَكَنَ الأندلُسَ على قَديمِ الأَيّامِ فيما نقلتْه الأَخْبَارُ من بعد عَهْدِ الطُّوفَانِ علَى ما يَذْكُرهُ عُلَماء عَجمُها قَوْمٌ يُعْرَفُونَ بالأَندَلُسْ-**مُعْجَمَة الشّنِ**- بهُمْ سمي المَكَانُ. فَعُرْبَ فيمَا بعْدُ السّنِ غير المعجمَةِ كَانُواْ الذينَ عَمَرُوهَا وَتَنَاسَلواْ فيهَا وَتَدَاوَلواْ مُلكَهَا دَهرًا ، عَلى دِينِ التَمَجُسِ والإِهْمَالِ والإِفسَادِ فِي الأَرْضِ، ثمَ أَخَذَهُمُ اللهُ بِذنوبِهِمْ ، فَحَبَسَ المَطَرَ عَنهُم ولَى القَحْط عَلَيْهِمْ وَأَعْطَشَ بِلاَدَهُمْ ، فَهَلَكَ أَكثَرُهُم وَأَقفَرَتِ الأَنْدَلُسْ منهم ، **عدة ما عمرتها هذه الأمة مائة عام وبضع عشرة سنة .**

ثم ابتعث الله تعالى لعمارتها الأفارقة فدخل إليها قوم منهم أجلاهم ملك إفريقية احتلوا بجزيرة "قادس" ، فأصابوا الأندلس قد أمطرت وأخصبت ،فجرت أنهارها وانفجت عيونها وحييت أشجارها ، فتوالوا فيها واستوسعوا ونضبوا من أنفسهم ملوكا عليهم حوالي **مائة وسبعة وخمسين عاما** إلى أن أهلكهم الله تعالى ونسخهم بعجم رومة وملكهم" **إشبان بن طيطش"** وباسمه سميت الأندلس **إشبانية** وهو الذي بنى**" إشبيلية "**[2].

قال ابن حيان في المقتبس : ذكر رواة العجم أن **الخضر عليه السلام** وقف بإشبان المذكور ، وهو يحرث الأرض بعدن أيام حراثيته ، فقال له **: يا إشبان، إنك لذو شان ،**

1- أحمد بن المقرّي التلمساني: "نفح الطيّب من غصن الأندلس الرّطيب"، المجلد 1، ص(169،170)
2- المصدر نفسه، المجلد1، ص(134،133).

وسوف يحظيك زمان ويعطيك سلطان ..... كان ملكه كله **عشرين سنة وخمسة وخمسون ملكا.**

ثم دخل على هؤلاء **الإشبانيين** من عجم رومة، أمة يدعون **"البشتولقات"** وملكهم **"طلوبش بن بيطة "** وذلك زمن بعد **المسيح بن مريم عبيه السلام** ، أتوا الأندلس من قبل رومة ، وكانوا يملكون إفرنجة معها ملك منهم **سبعة وعشرون ملكا** .

ثم دخل هؤلاء البشتولقات "أمة القوط" مع ملك لهم فغلبوا على الأندلس واقتطعوها من صاحب رومة ، وتفردوا بسلطانهم واتخذوا مدينة **طليطلة** دار مملكتهم، وكانت ديانتهم النصرانية وظلوا عليها إلى أن غلبتهم العرب ، وأطهر الله تعالى على جميع الأديان . يعد لذريق آخرهم الذي ملك الأندلس في **749م** وهو الذي دخلت عليه العرب فأزالت دولت القوط **ستة وثلاثون ملكا** ، وأن مدة أيام ملكهم في الأندلس **ثلاثمائة واثنان وأربعون سنة** [1].

هكذا هي بلاد الأندلس بتاريخها وأصولها وجغرافيتها وخيراتها والأمم التي استوطنتها قبل لحاق العرب المسلمين بها فأبوا إلا أن يدخلوها صمن فتوحاتها الإسلامية الممتدة من شبه الجزيرة العربية لوبية من أجل نشر الإسلام في كل أقطار العالم .

1- أحمد بن المقري التلمساني "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" المجلد 1ص،(139).

الفصل الأول

❖ الفصل الأول: دخول العرب إلى الأندلس

1)- موجة الفتح

2)- المدن الأندلسية

3)- أسباب سقوط الأندلس

موجة الفتح :

لقد ذكرنا سابقا أن من استوطن الأندلس هم القوط الغربيون قبل أن يدخل عليهم العرب فاتحين ،كان ذلك سنة91 هجري بقيادة طارق بن زياد وطريق ومولاهما موسى بن نصير ، ويدخل هذا ضمن سلسلة الفتوحات التي خطط لها المسلمون بوصولهم إلى شمال إفريقية، ورأوا في بلاد الأندلس هدفهم المقبل ضمن موجة الفتح الإسلامي .

ثم بعد ذلك :أعلم أنه لما قضى الله سبحانه وتعالى بتحقيق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث).

أعلم أنه لما قضى الله سبحانه وتعالى بتحقيق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "زُوِيَتْ لِيَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَبْلغُ مُلْكُ أُمَتِي مَازُوِيَ لِي مِنْهَا "

وقع الخلاف بين لذريق ملك القوط وبين ملك السبتة الذي مجاز الزقاق، فكان ما يذكر من فتح الأندلس على يد **طارق وطريق ومولاهما الأمير موسى بن النصير ، رحم الله الجميع .**

وذكر الحجاري وابن حيان وغيرهما أن أولمن دخل جزيرة الأندلس من المسلمين برسم الجهاد **طريق البربري مولى موسى بن النصير** الذي تنسب إليه جزيرة طريق التي على المجاز ، غزاها بمعونة صاحب سبتة يليان النصراني لحقده غلى لذريق صاحب الأندلس، وكان في مائة فارس وأربعمائة راجل جاز البحر في أربعة مراكب ، في **شهر رمضان سنة إحدى وتسعين** ، وانصرف بغنيمة جليلة فعقد موسى بن نصير صاحب المغرب لمولاها بن زياد على الأندلس ووجهه مع يليان صاحب سبتة .انتهى .

وقال بن حيان : إن أول أسباب فتح الأندلس كان ولّى **الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز على إفريقية** وما خلفها [1]،سنة **ثمان وثمانين** فخرج في نفر قليل من المطوعة، فلما ورد مصيرا أخرج معه بعثا ،وفعل ذلك في إفريقية ، وجعل على مقدمته **مولاه طارقا** ،فلم يزل يقاتل البرير ويفتح مدائنهم ، حتى بلغ مدينة طنجة ،وهي قصبة بلادهم وأم مدائنهم ، فحصرها حتى فتحها وأسلم أهلها ، ولم تكن فتحت قبله.

وذكر ابن حيان أيضا استصعاب **سبتة** على **موسى بن نصير** بتدبير صاحبها الداهية الشجاع يليان النصراني .

1-أحمد بن المقري التلمساني :" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" ص(230،229).

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله : وحديث الفتح ، وما من الله به على الإسلام من المنح ، وأخبار ما أفاء الله به من الخير **على موسى بن النصير** ، وكتب من جهاد **لطارق بن زياد.**

وقال ابن بشكوال : إنه طارق بن عمروا فتح الأندلس ودوخها ، وإليه ينسب جبل طارق الذي يعرفه العامة بجبل الفتح في قبلة الجزيرة الخضراء ورحل مع سده بعد فتح الأندلس إلى الشام وانقطع خبره.

وقال أيضا: إن طارقا كان حسن الكلام ينظم ما يجوز كتبه. وأما المعارف السلطانية فيكفيه ولاية سلطنة الأندلس وما فتح فيها من البلاد إليه أن وصل سده موسى بن النصير .

ومن تاريخ بشكوال : احتل طارق بالجبل المنسوب إليه يوم الاثنين خلون من رجب سنة اثنين وتسعين في اثني عشر ألفا فير اثني عشر رجلا من البربر، ولم يكن فيهم من العرب إلا شيء يسير، وإنه لما ركب البحر رأى **وهو نائم النبي صلى الله عليه وسلم، وحوله المهاجرون والأنصار وقد تقلدوا السيوف وتنكبو القسي، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَا طَارِقُ، تَقَدّمْ لِشَأنِكَ وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ قَدْ دَخَلُوا الأَنْدَلُسَ قُدَامَهُ.** فهب من نومه مستبشرا، وبشر أصحابه وثابت نفسه ببشراه، ولم يشك في الظفر، فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شانا للغارة، وأصابا عجوزا من أهل الجزيرة فقالت له في بعض قولها **:إِنَهُ كَان لَهُ زَوْجٌ عَالِمٌ بِالحَدَثَانِ، فَكَانَ يُحَدِثُهُمْ عَنْ أَمِيرِ يَدْخُلُ إِلَى بَلَدَهُمْ هَذَا فَيَغْلُبُ عَلَيْهِ، وَيَصِفُ مِنْنَعْتِهِ أَنَهُ ضَخْمُ الهَامَةِ، فَأَنْتَ كَذَلِكَ، وَمِنَها أَنَ فِي كَتِفِهِ اليُسْرَى شَامَةٌ عَلَيْهَا شَعْرٌ، فَإِنَهُ كَان فِيكَ فَأَنْتَ هُوَ، فَكَشَفَ ثَوْبَهُ فَإِذَا بِالشّامَةِ فِي كَتِفِهِ عَلَى مَا ذَكَرتْ، فَاسْتَبْشَرَ بِذَلِكَ وَمَنْ مَعَهُ.**

ومن تاريخ بن حيان: لما حرض يليان النصراني صاحب سبتة للأمر الذي وقع بينه وبين صاحب الأندلس، موسى بن النصير على غزو الأندلس جهز لها مولاه طارقا المذكور في سبعة آلاف من المسلمين جُلُّهُمْ من البربر، في أربعة سفن، وحطَ [1] بجبل طارق المنسوب إليه **يوم السبت سنة اثنين وتسعين** ولم تزل المراكب حتى توافى جميع أصحابه عنده بالجبل، قال: ووقع على لذريق صاحب الأندلس الخبر، وأن يليان فيه، وكان يومئذ

1-أحمد المقري التلمساني، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب "، ص (203-231) .

غازيا في جهة البشكنس، فبادر في جموعه وهم نحو مائة ألف ذوي عدد وعدة، وكتب طارق إلى موسى أنه زحف إليه لذريق بما لا طاقة له به، فجهز له فيها **خمسة آلاف من المسلمين** فكملوا بمن تقدم **اثني عشر ألفا**، ومعهم يليان صاحب سبتة في حشده يدلهم على العورات ويتجسس لهم الأخبار.

وقال بن خلدون: أن القوطيين كان لهم ملك الأندلس وأن ملكهم لعهد الفتح يسمى **لذريق**، وكان يليان ينقم عليه، لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلهم على عورة فيهم أمكنت طارقا فيها الفرصة فانتهزها لوقته، وأجاز البحر سنة اثنتين وتسعين من الهجرة بإذن أميره **موسى بن نصير** في نحو **ثلاثمائة من العرب**، واحتشد معهم زهاء **عشرة آلاف** فصيرهم عسكريين: أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمي" جبل طارق" به والآخر على طريق بم مالك النخعي، ونزل بمكان مدينة طريق فسمي به وأداروا الأسوار على أنفسهم للتحصن وبلغ الخبر إلى لذريق فجر إليهم أمم الأعاجم وأهل ملة النصرانية في زهاء **أربعين ألفا** وزحفوا إليه، فالتقوا بفحص شريش، فهزمه الله ونفلهم أموال أهل الكفر ورقابهم، وكتب طارق إلى موسى بن نصير بالفتح وبالغنائم، فحركته الغيرة وكتب إلى طارق يتوعده إن توغل بغير إذنه، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به، واستخلف على القيروان سنة 93 في عسكر ضخم من وجوه العرب الموالي وعرفاء البربر، ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء، فأجاز إلى الأندلس وتلقاه طارق فانقاد واتبع، وأتم موسى الفتح، وتوغل في الأندلس إلى برشلونة في جهة الشرق وأريونة في الجوف، وضم قاتدس في الغرب، ودوخ أقطارها، وجمع غنائمها.[1]

يلاحظ من كل هذه الأقوال حول فتح الأندلس أن السبب الرئيسي فيه يعود إلى حنكة ودهاء طارق وطريق ومولاهما الأمير موسى بن نصير، هؤلاء الثلاثة فيهم القوة والشجاعة اللازمين في خطط الغزوات، دون أن ننكر سببا آخر مهد الطريق لدخول الأندلس وهو الصراع الشرس الذي وقع بين يليان النصراني ملك سبتة ولذريق ملك وصاحب الأندلس وكما يقال: "مصائب قوم عند قوم فوائد " ونتج عنه تعاون يليان مع هؤلاء القادة الثلاث لتسهيل مهمة الفتح.

1- أحمد بن المقري التلمساني :" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب "،ص(233،232،231).

وقال ابن الحيان في المقتبس"((وَذَكَرُوا أَنَ لُذْرِيقُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ المُلُوكِ وَلا بِصَحِيحِ النَّسَبِ فِي القُوطِ، وَأَنَهُ إِنّمَا نَالَ المُلْكَ مِنْ طَرِيقِ الغَصْبِ والتَسَوُّرِ عِنْدَمَا مَاتَاِغْطَشَة المَلِكُ الذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَكَانَ أَثِيرَا لَدَيْهِ، مَكْنِيًا فَاسْتَصْغَرَ أَوْلَادَهُ لِمَكَانِهِ، وَاِسْتَمَالَ طَائِفَةٍ مِنَ الرِّجَالِ مَالُواْ مَعَهُ، فَانْتَزَعَ المُلْكَ مِنَ أَوْلَادِهِ وَاسْتَبْقَاهُمُ، فَكَانُواْ هُمُ الذِينَ دَبَرُواْ عَلَيْهِ عِنْدَمَا لَقِيَ رِجَالَ العَرَبِ المُقْتَحِمِينَ عَلَيْهِ بِالأَنْدَلُسْ مِنْ تِلْقَاءِ بَحْرِ الزُقَاقِ وَعَلَيْهِم طَارِقْ بنُ زِيَاد مَوْلَى مُوسَى بنُ نَصِير طَمَاعَة مِنْهُم فِي أَنْ يُودِي وَيُخَلِصَ إِلَيْهِمْ مُلْكَ أَبِيهِمْ فَالتَقَواْ بِمَوضِعِ يُدْعَى **وَادِي لَكَّةَ** مِنْ أَرْضِ الجَزِيرَةِ الخَضْرَاءِ مِنْ سَاحِلِ الأَنْدَلُسْ القَبْلِي مَكَانَ عُبُورِهِمْ وَذَلِكَ مِنْ**شَهْرِ رَبِيعْ الأَوَلْ سَنَةَ 92هـ** ،فَانهَزَمَ القُوط أَعْظَمَ هَزِيمَةٍ وَقَتَلَ مَلِكَهُمْ لُذْرِيقْ، وَغَلَبَتْ العَرَبُ عَلَى الأَنْدَلُسْ، فَصَارَتْ أَقْصَى فَتَوَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ المَغْرِبِ، **وَمِصْدَاقِ مَوْعِدِ نَبِيهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمْ، الكَفِيلُ بِفَتْحِ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ بِوَحْيِ اللهِ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْجَزَهُمْ إِليه بِفَتْحِ الأَنْدَلُسْ وَلِلهِ القُوَةُ)).**

وقال نقلا عن الرازي:" وافتتحت الأندلس في أيام **الوليد بن عبدالملك،** فكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت في ظهور الملة الحنيفية، وكان عمر بن عبد العزيز- رضوان الله عليه- متهم ما بها متعنيا بشأنها ...."[1]

أهم مدن الأندلس التي تم فتحها :

إشبيلية: بالكسر ثم بالسكون، وكسر الباع الموحدة، وياع ساكنة ولام، وياع خفيفة: **مدينة كبيرة عظيمة، وليس بالأندلس اليوم أعظم منها، تسمى حمص أيضا،** وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وبها كان بنوا عباد، ولمقامهم بها خربت قرطبة، وعملها متصل بعمل ليلة وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا، وكانت قديما فيما يزعم بعضهم، **قادة ملك الروم، وبها كان كرسيهم الأعظم، وأما الآن فهو بطليطلة.**

وإشبيلية : قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه، ومما فاقت به على غيرها من نواحي الأندلس زراعة القطن فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب، وفي كورتها مدن وأقاليم تذكر في مواضعها ينسب إليها

1- أحمد بن المقري التلمساني: "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"،ص249،248.

خلف كثير من أهل العلم منهم: **عبد الله بن عمر بن الخطاب الإشبيلي، وهو قاضيها، مات سنة 276.**[1]

قال بن حيان وغيره: لَمَا بَلَغَ مُوسَى بن نصير مَا صَنَعَهُ طَارِق بن زِيَاد وَمَا أتِيحَ لَهُ مِنَ الفُتُوحِ حَسَدَهُ، وَتَهَيَأَ لِلمَسِيرِ إِلَى الأَنْدَلُسِ فَعَسْكَرَ وأقبل نحوها ومعه جماعة الناس وأعلامهم ، وقيل إنهم كانوا **ثمانية عشر ألفا، وقيل أكثر.**[2]

فكان دخوله إلى الأندلس في **شهر رمضان 93هـ،** ثم سار إلى مدينة **قرمونة،** وليس بالأندلس أحصن منها، فدخلها بحيلة توجهت بأصحاب يليان، دخلة إليهم كأنهم فلال وطرقهم موسى بخيلة ليلا ففتحوا لهم الباب وأوقعوا بالأحراس ومضى موسى إلى **"إشبيلية"** جارتها فحاصرها وهي أعظم مدائن الأندلس شأنا وأعجبها بنيانا، وأكثرها آثارا، وكانت دار الملك قبل القوطيين، فلما غلب القوطيون على ملك الأندلس حولوا السلطان إلى **طليطلة** ، وبقي رؤساء الدين في إشبيلية فامتنعت أشهر على موسى، ثم فتحها الله عليها، فهرب العوج عنها إلى مدينة باجة، وكان ذلك في سنة **94هـ** فملكها، ثم إن غعم إشبيلية انتفضوا على المسلمين، من مدينتي باجة وليلة إليهم، فأوقعوا بالمسلمين وقتلو منهم نحو ثمانين رجلا، وأتى الأمير موسى فوجه ابنه **عبد العزيز** في جيش إليهم ففتح إشبيلية وقتل أهلها، ونهض إلى ليلة ففتحها واستقامت الأمور وعلا الإسلام وأقام عبد العزيز بإشبيلية.[3]

قرطبة : بضم أوله وسكون ثانيه، وضم الطاء المهملة أيضا، والباء الموحدة، كلمة فيما أحسب عجمية، رومية، ولها في العربية مجالب أن يكون من القرطبة: وهو العو الشديد

قال بعضهم: **إِذَا رَآنِــي قــد أَتَيتُ قَرْطَبــا**

وَجالَ فِي جَحَاشَة وطَـــرْطَبًا

وقال الأصمعي: طَعَنَهُ فَقَرْطَبَهُ إِذَا صَرَعَهُ .

وقال بن الصامت الجشمي: القرطبا: السَّيْفُ كَأَنَهُ مَنْقَرْطَبَهُ أَيَ: قَطَعَهُ.

1- ياقوت الحموي :"معجم البلدان المجلد 1، تحقيق المستشرق الألماني وستنفيلد، دار بيروت للطباعة والنشر ، لبنان 1984،ص195.
2- أحمد بن المقري التلمساني :"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب "،ص269.
3- أحمد المقري التلمساني:" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، المجلد1،ص(271،269).

وهي مدينة عظيمة بالأندلس، وسط بلادها، وكان سريرا لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية، ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء.

قال ابن حوقل التاجر الموصلي: وكان طرق تلك البلاد في حدود **سنة 350هـ** فقال:" وأعظم مدينة بالأندلس **"قرطبة"**، وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة." وهي حصينة بسور من حجارة، ولها بابان مشرعان في نفس السور إلى طريق الوادي من الصرافة، أبنيتها مشتيكة "محيطة من شرقيها وشماليها وغربيها وجنوبها فهو إلى واديها وعليه الرصيف المعروف بالأسواق والبيوع.في سنة 440هـ انقضت مدة الأمويين ابن أبي عامر، وظهر المتغلبون بالأندلسيين وقويت شوكة بني عباد ، ثم بعد ذلك خلت قرطبة من سلطتن يرجع إلى أمره فخرجت بالجور عليها ، فعمرت اشبيلية بني عباد عمارة صارت بها سرير ملك الأندلس وقد رثوها فأكثروا فيها وممن تشوق إليها **"القاضي محمد بن أبي عيسى بن يحيى الليثي "**، قاضي الجماعة بقرطبة فقال فيها:

وَيْلٌ أَم ذِكْرَاتِي مِنْ وَرَقٍ مُغَرَدَة

عَلَى القَضِيبِ بِذَاتِ الجَزْعِ مَيَّاسِ

رَدَدْنَ شَجْوًا شَجَا قَلْبِي الخُليَّ فَقُلْ

فِي شَجْوَةٍ ذِي غُرْبَةٍ نَاء عَنِ النَّاسِ

ذَكَرنَهُ الزَمَنَ المَاضِي بِقُرْطُبَةٍ

بَيْنَ الأَحِبةِ فِي لَهْوٍ وَإِينَاسٍ

وينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم منهم: **"أبو بكر يحيى بن تمام الأديب القرطبي** "قال عليه كثير من شيوخنا، وكان أديبا فاضلا مقرئا، عارفا بالنحو واللغة، مات بها سنة**567هـ**.[1]

يقول أحذ مؤرخي العرب: "إن قرطبة عروس الأندلس، بها من الجمال والزينة ما يبهر العين ويسر النفس، فأمراؤها المتعاقبون تاج مجدها.[2] وقلادتها نظمت من درر استخرجتها شعرائها من بحر اللغة الخضم، وحلتها أعلام الآداب والعلوم، واهداب حلتها أصحاب الفنون والصناعات.

1- ياقوت الحموي: "معجم البلدان" مجلد4، ص(324).

2- لين بول: "قصة الوب في اسبانيا "تر: على الجازم : دار المعارف بمصر، ص(119-125).

ولد كانت قرطبة أيام الخليفة العظيم حاضرة جديرة بالفخر والإعجاب، وإذا استثنينا بيزنطة، فلن نجد في أوروبا مدينة نساميها في جمال أبنيتها أو في حياتها الرخية المترفة، أو فيما تزخر به من أنواع العلوم وفنون الآداب.[1]

غرناطة : بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون وبعد الألف طاء مهملة **قال أبوبكر بن طرخان بن يحكم: قال لي محمد عفان الصحيح" أغرناطة"** بالألف في أوله أسقطها العامة كما أسقطوها من ألبيرة فقالوا **"لبيرة"** ،قال ابن يحكم : وقال لي الشيخان : يوسف بن علي القضاعي، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد البردي الحياني: **غرناطة بغير ألف، قال: ومعنى غرناطة: رمانة** بلسان عجم الأندلس، يسمى البلد لحسنه بذلك قال الأنصاري: وهي أقدم مدن كوة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها، يشقها النهر المعروف بنهر "قلزم" في القديم يلقط منه سحالة الذهب الخالص وعليه أرجاء كثيرة في داخل المدينة، وقد اقتطع منه ساقية كبيرة تخترق نصف المدينة، فتعم حماماتها وسقاياها وكثيرا من دور الكبراء، وله نهر آخر يقال له **"سنجل".**[2]

كانت لغرناطة منزلة قرطبة في إنهاض الآداب والعلوم، كما سميت بالحمراء للون الذي أنشئت عليها.[3]

تدعى **غرناطة** الدولة النصرانية **(بني نصر)** ومؤسسها **هو محمد بن يوسف بن نصر،** ويعرف أيضا **بابن الأحمر،** كان قد نصب نفسه حاكما على جيان في العام الأول **1231م،** غير أن سقوط جيان **سنة1235م** على يد فرناندو وأجبره على الانكفاء نحو غرناطة جنوبا، واتخاذها قاعدة لحكمه **سنة 1235م،** وما إن استقر في غرناطة حتى تبين له أنه لا يستطيع الصمود فيها أيضا لوحده، فقرر الدخول في ولاء فرناندوا كما يفعل العديد من الحكام المسلمين آن ذاك.

ومن أسباب صمودها في الحفاظ على استقلالها **طوال قرنين ونصف القرن من الزمن** أن أظهر محمد الأول ولاءه التام لفرناندو وولده، لذلك استحق معاملة كريمة، وكذلك

1-استاناي لين يول: "قصة العرب في اسباني"، ص(125).
2- ياقوت الحموي: "معجم البلدان"مجلد4،ص(213،212).
3- استانلي لين يول:"قصة العرب في اسبانيا"،ص(189).

طبيعة البلاد الجبلية وقربها من إفريقيا فأكثر أراضي غرناطة، كانت تتألف من جبال عالية نسبيا.

لقد شهدت غرناطة في المرحلة من **1344م** حتى**1396م** أوج ازدهار ففيها بنيت أقسام الحمراء، وكانت الدولة على العموم مزدهرة بفضل زراعتها المكثفة وحرفها المدنية وتجارتها، غير أنها كانت تعاني صعوبات داخلية على وراثة الحكم.[1]

سرقطة: بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطليه ذات فواكه عذبة لها فصل على سائر فواكه الأندلس، مبنية على نهر كبير وهو نهر منبعث من جبال القلاع، قد انفردت بصنعة السمور، منفردة بالنسج هي ثياب رقيقة معروفة **بالسرقطية**.

لها مدن ومعاقل ينسب إليها: **أبو الحسن علي بن إبراهيم بن يوسف السرقطي** كان من أهل المعرفة والخط، وأنبل ما نسب إليها **ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف بن سليمان بن يحيى العوفي من ولد عوف غطفان**.[2]

مالقة: بفتح اللام والقاف: كلمة عجمية : هي مدينة بالأندلس عامرة من أعمالرية سورهاعلى شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء وألميرية .

قال الحميدي: هِيَ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ المَجَازِ المَعْرُوفِ **بِالزَّقَاقِ، وَالقَوْلَانِ مُتَقَارِبَانِ، وَأَصْلُ وَضْعِهَا قَدِيمٌ ثُمَ عُمِرَت بَعْد وَكَثُرَ قَصْدُ المَرَاكِبِ والتُّجَارِ إِلَيْها، فَتَضَاعَفَتْ عِمَارَتُهَا حَتى صَارَت "أَرْشَذونَة"، نُسِبَ إِلَيْهَا مَجْمُوعَة مِنْ أَهْلِ العِلْم:" عزيز بن محمد اللخمي المالقي "،"وسليمان المعافري المالقي".**[3]

أسباب سقوط الأندلس :كانت السنوات التي امتدت عام 1008م إلى عام1031م من أكثر الحقب المأساوية في التاريخ الأندلسي كله، فقدت الأندلس ذروة بحبوبتها وإنجازاتها المهمة وانتقلت إلى الحرب الأهلية الدامية، فلم تعد هناك سلطة مركزية قادرة على إرساء النظام في كل بلاد سادت الفوضى في كل مكان وظهر عدد من الزعماء واحدا بعد الآخر، كل واحد مع أنصاره، وحاولوا أن يقيموا في العاصمة حكما عادلا، ولكن كان عليهم أن يتقبلوا

1- يوسع عيد" الشعر الأندلسي وصدى النكبات "، دار العزة والكرامة للكتاب، وهران ط1، 2013م، ص(14،15)

2- ياقوت الحموي :"معجم البلدان "مجلد3ص(212،213).

3- ياقوت الحموي :"معجم البلدان "مجلد3ص (43).

الفشل واحدا أثر الآخر فمنهم من لم يبق في الحكم أكثر من شهر أو شهرين، ولم تتجاوز مدة حكم أي واحد منهم السنتين أو الثلاث.

وقبل هذه المرحلة المأساوية كان حكم ابن أبي عامر وهو ما عرف بالدكتاتورية العامرية والتي كانت مابين**981م** إلى وفاة ابن المنصور **1008م**، كما استطاع بسط نفوذه على شمالي إفريقيا أيضا ولقب فيما بعد **"بالمظفر"**.

ومن الأسباب ما يعرف بعد الملوك والدويلات من **1009م** حتى **1091م** بدأت الوحدة الأندلسية بالتزعزع سنة **1009م** فقد استمر شبح الخلافة حتى عام **1031م** بحيث أسرع الحكام المحليون وغيرهم من الزعماء إلى تسليم زمام السلطة.[1]

وفي مطلع **القرن الحادي عشر** نشأ **ثلاثون كيانا سياسيا** مستقلا على وجه التقريب بحيث استمرت المؤامرات بين الدويلات كما استمرت الحروب أيضا، وتسلل الشك إلى نفوس الحكام فبأن معظمهم على خلاف وزرائهم، ولعل تلك المرحلة السياسية المضطربة تدل بوضوح على شدة الحوادث التي بدأت تنخر عظام السلطة العربية.

إن ملوك الطوائف على ثلاث فئات عنصرية: برير وصقالبة وأندلسيون، وكانت الفئة الأخيرة تضم كل المسلمين المنحدرين من أصل عربي، أو بعض المنحدرين من المستوطنين البربر الأوائل، وفق ذلك فإن العرب لا يحسبون طائفة منفصلة، ولم تحاول طائفة واحدة في أي مقاطعة التسلط وتسخير الحكم لخدمة مصالحها الخاصة من دون الاهتمام بمصالح الناس، وبرغم ذلك كانت الوحدة مفقودة حتى داخل الدويلات الصغيرة.[2]

ومن الأسباب أن عادت اسبانيا إلى حكم المسيحيين وفيهم من الجنود أمثال السيد ومن الملوك أشباه فرديناند وألفونسو، ومن الجلي أن لكل أمة ميقاتا، وأن لكل دولة عهد نموهم عهد ازدهار، يتبعها الذبول والهرم والانحلال، وكما سقطت دولة الإغريق، وكما سقطت روما، وكما سقطت كل مملكة قديمة شهدت الدنيا نهوضها وقوتها سقط العرب في اسبانيا وشالت نعامتهم، بعد أن دنا أجلهم، فقد ذهبت ريحهم وتفاقم الخلاف وزادت الجفوة بين أمرائهم.

1- يوسف عيد: "الشعر الأندلسي وصدى النكبات" ص(6،7).
2- يوسف عيد: روائع اللغة العربية "الشعر الأندلسي وصدى النكبات "ص(7،8).

كانت مملكة غرناطة بقية ما ملك العرب بإسبانيا، وأصبح حكمهم محصورا في هذه المقاطعة، وهي الرقعة بين جبال نيفادا وساحل البحر، وقد قدر لهم بعد استسلام **بلنسية ،وقرطبة ، واشبيلية، ومرسية** أن يستمر حكمهم فيها **قرنين ونصف القرن**

بعد هذا الصمود الطويل استسلمت غرناطة ووقعت في أيدي النصارى، فبكى الباكون وندب النادبون قائلين:((**غرناطة يا أجمل المدن ..أين ذهب جمالك وجلالك ؟....لقد دفنت زهرات مجدك في أرض الأعداء....غرناطة يا أجمل المدن. .لن تسري بعد اليوم نغمات العود الناعمة في شوارعك المقمرة، ولن تسمع ألحان العشاق تحت قصورك العالية.....غرناطة يا أجمل المدن ..لما أقفرت الحمراء من أهلها وأصبحت يبابا ...**[1]

وفي الخامس والعشرين من شهر نوفمبر سنة1491م(897هـ)أمضيت شروط التسليم فظهر الصليب وبدأت الحسرات فكانت بداية عصر كله حزن وابتلاء وآلام ونكبات تتولى على رؤوس العرب المساكين.

إن سقوط الأندلس، لم يكن إلا سقوط النجم المتلألئ اللامع، وانهيار الجبل الأشم الراسخ، وإن دولة في الأرض لم تشيع بعبرات العيون وحسرات القلوب كما شيعت الأندلس. وكم يبك الشعراء ملكا طواه الزمان كما بكوا ملك الأندلس، وكم يقف المؤرخون وهم يدونون خاتمة أمة كما وقفوا عند قبر دولة العرب بالأندلس .

قال بن خفاجة الأندلسي:

**عاَثَت بِسَاحَتِك الضـــبى يَا دَارُ		وَمَحَا مَحَاسِنَكَ البَلَى وَالنَّارُ**
**فَإِذَا تَرَدَدَ فِي جَنَـــــــابِكَ نَاظِرٌ		طَاَل اعتِبَارُ فِيكَ واسْتِعْبَـارٌ**
**أَرْضٌ تقاذفتِ النَّوَى بِقَطِينِــــهَا		وَتَمَخَضَتِ بِخَرَابِهَا الأَقْدَارُ**
**كَتَبَت يَدُ الحَدَثَانِ فِي عَرَصَاتِهَا		لا أَنْتَ أَنْتَ ولا الدِيَاُر دِيَارُ**[2]

إن سقوط الأندلس ساقط غن حملة من الخلافات الحادة بين أمرائها فتزعزعت الوحدة واشتد النزاع غلى الحكم وهذا الذي صب في مصلحة المتربصين من النصارى الذين عرفوا مواطن الضعف عند العرب، وكما استفادوا من الخلاف بين لذريق ملك القوطة يليان النصراني أيام الفتح أيضا استفاد النصراني من الخلافات القائمة في أمور الإمارة والحكم وتسرب الشكوك إلى النفوس في أوساط الحكام والأمراء العرب فانتهت حقبتهم في أرض

1- استاني لين يول:" قصة العرب في اسبانيا "ص(187،186).
2- استانلي لين يول: قصة العرب في اسبانيا"، ص(218،216).

الأندلس بالكثير من الآلام والحسرات على ضياع مجد من الأمجاد ورغم رحيلهم عن هذه الرقعة الطيبة إلا أنهم تركوا آثارا تمجدهم وتذكرهم على ضيعهم الذي يخلدهم عبر تاريخ الأمة العربية المسلمة.

يقول الله تعالى جل شأنه وعظم سلطانه في كتابه العظيم :**"إِنَ الأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَقِينَ"**.[1]

فعلا لقد خرب الإسبان بيوتهم بأيديهم بعدما ظلوا تحت حكم العرب مزدهرين في جميع المجالات، ولم تصل قارة بأكملها إلى ما وصله وبلغه المسلمون في الأندلس، وقد بقيت حضارة العرب إلى حين بعد خروجهم من إسبانيا وضاءة لامعة، وإنا لنحس فضلهم وعظم آثار مجدهم حينما نرى إسبانيا فقدت أيقونتها بعد خروج العرب من أراضيها.[2]

رغم خروج العرب من الأندلس، وما نتج عنه من حسرات وآلام، إلا أنهم تركوا آثارا وبصمات لا يذكرها إلا جاحد في كل المجالات الدينية والثقافية والعلمية والسياسية، فعلا سيبقى التاريخ يذكر صنيعتهم وما خلفوه وراءهم.

1- سورة الاعراف (الآية،128).

2-استانلي لين يول:" قصة الغرب في اسبانيا "،ترجمة :علي الجازم ،ص(226،225).

الفصل الثاني

❖ الفصل الثاني: الشعر في الأندلس

1)- الشعر الأندلسي والتقليد

2)- فنون الشعر الموسعة

3)- فنون الشعر المستحدثة

أ- الموشحات والأزجال الأندلسية

ب- رثاء المدن والممالك

1- الشعر الأندلسي و التقلـيد :

هل الشعر الأندلسي مستقل ؟؟ أم هو محاكاة وتقليد للشعر المشرقي ؟؟

يقول أحد الأندلسيين أنفسهم و هو ابن بسام صاحب الذخيرة في هذا الشأن :

" ان أهل هذا الافق الأندلس أبو الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة ،حتى لو نعق بتلك الأفاق غراب ،أو طن بأقصى الشام و العراق ذباب ،لجثوا على هذا صنما ،وتلوا ذلك كتابا محكما "

ومعنى ذلك أن ابن بسام يقرر أن أهل الأندلس يتبعون أهل المشرق ويقلدونهم وينظرون اليهم على أنهم المثل الأعلى لهم في كل شيء و من ذلك الشعر طبعا و هذا يعني أن ابن بسام يقرر بطريق غير مباشر أن شعراء الأندلس مقلدون لشعراء المشرق و غير مستقلين عنهم بطابع خاص أو سمات مميزة .

و مما يعزز هذه العلاقة بين المغاربة و المشارقة هو رؤية الأندلسيين أنفسهم يلقبون نابغيهم بأسماء المشارقة ،فيقولون مثلا في "الرصافي" أنه ،ابن رومي الأندلس ،وفي "مروان بن عبد الرحمن" ابن معتز الأندلس ،وفي "اب خفاجة" :صنوبري الأندلس ،و في "ابن زيدون " بحتري الأندلس ....

ومن ذلك ايضا محاكاة شاعر أندلس لشاعر مشرقي في النسج على منواله في **موضوع واحد ،ووزن واحد، وقافيته واحدة .**

يقـول هارون الرشيد في جواريه الثلاث :

مَلَكَ الثَّلاثُ الآنِسَاتُ عَنَانِي * وَحَلَلْنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَـانِ**

مَالِي تُطَاوِعُنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا * وَأُطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عِصْيَـانِ**

مَا ذَاكَ إلا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى* وَبِـهِ قَوِينَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي**

و من العلاقة أيضا التطابق التام بين شاعر أندلسي أخر مشرقي في **طريقة النظم وفي الخصائص الأسلوبية وطبيعته المعاني** إلى حد يصعب التمييز بينهما .[1]

1- عبد العزيز عتيق " الأدب العربي في الأندلس " دار النهضة العربية للطباعة،1995 ص(159،160،163).

ان الشعر الأندلسي من جنس الشعر المشرقي فهما يلتقيان من حيث **الصفات العامة والموضوعات** ولكن لهذا الالتقاء أكثر من عامل نفسي .

فالعرب بطبيعتهم من أشد الشعوب حبا للشعر فالشعر عميق متأصل في نفوسهم ،وجزء من طبيعتهم التي فطروا عليها [1]. روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال **:(لا تدعُ العربُ الشّعرَ حتّى تدعَ الإبلُ الحنين)** [2]

والعرب بطبيعتهم يعتزون بأصلهم وعروبتهم ووطنهم غاية الاعتزاز وفي تاريخهم منذ الجاهلية ما يشهد لهم باعتزازهم بهذه الصفات وتمسكهم بها ،إن رحلوا إلى بيئة جديدة عملوا على تعريبها فنشروا فيها دينهم و لغتهم وأدبهم وحضارتهم ،حتى يشعروا بأنهم لم يغتربوا وأنهم لا يزالون يعيشون في بيوتهم الأولى بكل قيمتها وعاداتها وتقاليدها وأن الوطن الجديد بالنسبة لهم ليس بديلا عن الوطن القديم ولا منفصلا عنه بل هو امتداد له وذلك ما حدث للعرب عندما دخلوا لأندلس فالحين ،ففي العصور الأولى للفتح العربي كان غالبية أهل الأندلس نصارى وكان لهم لغتهم الخاصة التي يتخاطبون بها ويستخدمونها في مكتباتهم ،وشيئا فشيئا أخذوا يهجرون لغة بلادهم الأصلية ويتخذون من العرب لسانا لهم في كل شيء ومنهم من أجادها إلى حد نظم الشعر بها .

وإذا كان الشعر يتمثل في شكله ومضمونه وموضوعه ،فمن أي هذه النواحي ....الأندلسيون الشارقة؟ [3]

لقد كان الأدب الأندلسي والشعر بخاصة أحد جواني هذه الحضارة العربية الجديدة ،فاذا عليه سيماء ....والتقليد لشعر المشارقة ،فليس لعجز الشعراء عن الابتكار ،وانما هو لشعور الانتماء الى الأصل والرغبة في الاستمرار والارتباط به.

إن الدارس للشعر الأندلسي يرى أن ظاهرة التقليم ترجع الى الشكل ولموضوع دون المضمون ،فمن **الشكل** فهو متمثل في تقاليد القصيدة العربية القديم والالتزام بها علة أساس أنها جزء من تراثهم العربي الذي يعتزون به ويحافظون عليه .

1- عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس" ص(163،162،161،160).

2- ابن الرشيق القيرواني :"العمدة في محاسن الشعر و أدابه ،ونقده " تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر ،2007،ج1،ص(30).

3- عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس "ص(163،164).

أما **المضمون** فهو عند الأندلسيين نابع من تجارب شعرائهم الذاتية فلقد تخلف في نفوسهم ....وأفكار نابعة من بيئتهم الطبيعية والاجتماعية .

لذلك يرى الكثير بأن الشعراء الأندلس مقلدون لشعراء المشرق، لا يستدعون.

و في هذا الرأي قول الأستاذ أحمد ضيف :"وكثيرا ما كان الشعراء في الأندلس يرجعون في أساليبهم و أفكارهم الى الأساليب والأفكار اليدوية ،لأن العرب من أشد الأمم العصبية وحنينا الى وطنهم وعيشتهم الأولى ...والذي يقرأ الشعر الأندلسي يجده أخا للشعر في بغداد ،بل وفي بلاد العرب نفسها من حيث .[1]

الصفات العامة ،والموضوعات التي كانت عند القدماء "

يمكن القول من خلال ما يبق أن الشعر الأندلسي هو وراثه لسالفه المشرقي من حيث النظم في موضوعات وأشكال تقليدية كالتي كانت عليه القصيدة العربية القديمة ،بل هو امتداد له بيئة جغرافية البعيدة مكانيا، لكنها قريته بالعلاقة الوطيدة بينهما ،

أولا: الفنون التقليدية : الغزل - المدح - الرثاء - الحكمة والهجاء ...

و هي التي جاروا فيها الشعراء المشرق وان اختلفت طريقة التعبير فيها عندهم في بعض أجرائها ،**فالغزل مثلا :** أن كل شيء في بيئة الأندلس الجميلة يغري بالحب ويدعوا الى الغزل ،ومن ثم لم يكن أمام القلوب الشاعرة الا أن تنقاد لعواطفها ،فأحبت وتغزلت ،ثم خلفت ورائها فيضا من شعر الغزل الرائع الجميل .

يقول الشاعر على ابن عطية البلنسي بن زقاق :

ومُرْتَجّةِ الأعطافِ أمّا قوامُها

فلدن، فأما ردفها فرداح .[2]

يقول أبو الحسن الطبني :

ياساليـــا ماشقيـــهـ ّ * وعاشــــقا كل تيــــه**

ومـن مدامــي ونقلي * بـــــوجنيتـــه وفيــــه**

هــلاّ جـــزيت فـؤادي* بعـــض مـــالك فيـــه؟**[3]

1- عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس " ص(164،166،165).

2- المرجع نفسه، " ص(166،167،169،170).

3-عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس " ص(177).

1-المــدح : لقد نظم شعراء الأندلس المدائح ،وأكثروا منها وموجهة الى أمراء الأندلس وخلفائه وملوكه ،فلقد مدحوا فيهم صفات :المروءة، الوفاء ،الكرم والشجاعة هذا من جانب ومن جاني أخر مدح انتصاراتهم بوصف جيوشهم ومعاربهم الحربية التي تعد نصرا للإسلام والمسلمين ،من الشعراء الذين نظموا في هذا الفن أمثال ابن هانئ الأندلسي ،وابن دراج القسطلي.[1]

قال ابن هانئ الأندلسي يمدح ابراهيم بن جعفر بن علي :

لا أرى كابن جعفر بن عليّ * ملكًا لابسًا جـلالـة مـُلْـك**

مثلُ ماء الغمام يندي شبابًا * وهو فــي حُلّتي تَـوَقٍّ ونُـسك**[2]

2-الرثـــــــــاء: ويقال له التأبين أيضا وهو الثناء على الشخص بعد موته ،وتعديد مأثره والتعبير عن الفجيعة فيه شعرا .

وكان من أخلاق العرب ألا يرثوا قتلى الحروب ،لأنهم ما خرجوا الا ليقتلوا فاذا بكوهم كان ذلك هجاء ،ولكن الرثاء لمن يقتل في غير حرب كالغارة ونجدها .

ومما حدث بعد الاسلام في طريق الرثاء الجمع بين التعزية والتهنئة ،وقد اختص هذا اللون بالحلفاء في تغزية من يلي عهد أبيه منهم ، وكان أول ذلك حين مات معاوية بن أبي سفيان فلم يقدم أحد على تعزية ولده يزيد حتى دخل **عبد الله بن همام السلوكي فأنشده :**

اصْبِرْ يَزِيدُ فَقدْ فارَقْتَ ذَا مِقَةٍ * وأَشْكُرْ حُباءَ الَّذي بالمُلْكِ حاباكَا**

أَصْبَحْتَ راعِي أَهْل الدِّينِ كُلِّهِمُ * فأَنْـتَ تَـرْعاهُمُ واللهُ يَرْعاكــا**

فالرثاء عند الأندلسيين اتجاهات ،فهناك **اتجاه يمثله الوزير الكاتب الشاعر عبد المجيد بن عبدون ،وأبو العباس التطيلي الاشبيلي الضرير**، فالراثي عندهم يبدو من منظور عقلي صيغت لتخفيف المصاب على قلوب المصابين بالعظة والعبرة ،،وظلك نضرب الأمثال بمن أباءهم الدهر وأفناهم في الغابر من الأمم.[3]

- **وفي ذلك يقول الشاعر ابن عمدون في رثاء الوزير الفقيه أبي مروان بن سراج :**

يا مَوتُ لا واقِ وَلا فادي

1- المرجع نفسه ص(185).

2- ابن هانئ الأندلسي :"الديوان" الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر 2007 ص(249،250).

3- عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس " ص(195، 199،198،196).

الحُكمُ حُكمُكَ في القاري وَفي البادي.

وهناك اتجاه العلماء و الشعراء ،ويبدون من مراثي هؤلاء أنها تاريخ لمن يرنوهم وترجمة حياة لهم ، فهم يعددون أعمالهم ومأثرهم في كلام لا يجمعه بالشعر الا النظم ،وفي هذا الشأن **يقول عالم "شاعر يرثي الفقيه أبا مروان ابن سراج :**

أودَى سـراج المجد وابن سراجه.

فلنور شـمس المكرمـات أفولُ

لو كان علم الدين يبكي ميتاً .

لبكى الحديث عليه والتنزيل

وهناك **اتجاه الشعراء الرسميين** ممن ينهضون للرثاء الملوك وبعض أفراد أسرهم ، من أمثال الشاعر ابن زيدون ،فلة مراث جيدة **في أبي لحزم بن جهور وزوجته وفي المعتضد بن عباد وأمه وبنته** ، ومثل هذه المراثي قوية في صياغتها ضعيفة في عاطفتها ،ويبدوا عليها طابع التكلف تهدف الى حق أو واجب لا لأحزان [1]

و من نماذج هذا الاتجاه ،**ما قاله ابن زيدون في رثاء الأمير أبي حزم بن جهور ،وتهنئة ابنه أبي الوليد الحاكم الجديد :**

أبا الحزم قد ذابَتْ عليك مِنَ الأسى

قلوبٌ مُناها الصّبرُ، لو ساعدَ الصّبرُ.

دَعِ الدّهرُ يَفجعْ بالذّخائرِ أهلَهُ.

فما لنفيس مُذ طواكَ الرَّدَى قَدْرُ

وهناك **اتجاه أخير في مراثي الأندلسيين ، وهو رثاء الأباء والأمهات و الأبناء و الأصفياء** ، وهذا الاتجاه تتجلى فيه العاطفة الصادقة ،فمن مراثي **المعتمد بن عباد لولدين له قتلا غبلة على أيدي رجال يوسف بن تاشفين قوله وهو سجين في أغمات:**

يَقُولونَ صَبراً لا سَبيلَ إِلى الصَبرِ

سَأَبكي وَأَبكي ما تَطاوَل مِن عُمري

هَوى الكَوكَبانِ الفَتحُ ثُمَّ شَقيقُهُ

1- عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس " ص(199، 200،201).

يَزيدُ فَهَل بَعدَ الكَواكِبِ مِن صَبرِ

أَفَتحٌ لَقَد فَتَّحتَ لي بابَ رَحمَةٍ

كَما بِيَزيدِ اللَّهُ قَد زادَ في أَجري[1]

3- الحـكمــة: ان للشعر الأندلسي في هذا النوع حظ وافر منه ، بحيث نجد أن الشعراء الأندلسيين قد اقتفوا أثر المشارقة في هذا الفن وفاقوهم فيه [2]

يقول الوزير الكاتب أبو حفص عمر بن الشهيد :

في صحبة الناس في ذا الدهر معتبر

لا عين يؤثر منـها لا و لا أثر

و يقول كذلك :

لو ينفق الناس مما في قلوبهم

في سوق دعواهم للصدق ما تجرؤا[3]

4- الهجـــــاء : الهجاء ضد المديح ،ويقسمه ابن بسام صاحب الذخيرة الى قسمين :هجوا الأشراف و الشباب الذي أخذته جرير و طبقته ،وكان يقول :"اذا هجوتهم فأضحكوا" و من هجاء الأندلسيين ما يدخل في القسم الثاني - الشباب - بحيث تكثر فيه المقطعات وتكاد تنعدم الطوال. [4]

يقول ابن خفاجة الأندلسي في هجاء المكتسبين بالعلم و الزهد :

درسوا العلومَ ليملكوا بجدالهمْ،* فيها، صُدورَ مَراتِبٍ ومَجَالِسِ**

و تزهّدوا حتى أصابوا فرصةً ،* في أخذِ مالِ مَساجِدٍ وكنَائِسِ.**

فعــلا ،لقد قلد شعراء الأندلس نظراتهم المشارقة......أخذوهم في أغراض شتى ،فالرثاء والغزل والصباء وهذا بسبب الرابط الأدبي المتأصل في تاريخ العرب حتى وان اختلفت أشكال التعبير بينهما . [5]

1- عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس " ص(201،202).
2- المرجع نفسه ص211 .
3- المرجع نفسه :ص(214/213.)
4- المرجع نفسه ص(245/243/241.)
5- ابن خفاجة الأندلسي "الديوان" الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر 2007 ص(155).

ثانياً: فنون الشعر الأندلسي الموسعة :

1- شعر الحنين: الحنين الى الاوطان والاهل و الاحباب من رقة القلب و علامات لرشد لما فيه من دلائل على كرم الاصل و تمام العقل [1].

وقد بين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله " **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ** "[2]

نجعل خرجوهم من ديارهم كفء قتلهم الا انفسهم .

وعن عبد الله بن عباس رصي الله تعالى عنهما ،قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم من مكة قال: ((أَمَا وَاللَّهِ لأَخْرُجُ مِنْكِ ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكِ أَحَبُّ بِلادِ اللَّهِ إِلَيَّ وَأَكْرَمُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَلَوْلا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ))[3] **رواه الترمذي في سننته .**

لقد قال هذا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهو واقف **بالحزورة** موقع "قرب مكة او سوق بها قبل مهاجرته صلى الله عليه وسلم منها * وفي الحديث ان لنبي صلى الله عليه وسلم واله وسلم أظهر حزنه الشديد على فراق خير الأوطان و وأحبها إلى الله تعالى وإلى نفسه صلى الله عليه واله وسلم

وقد طَوَّفْتُ في الآفاقِ، حَتى * رَضيتُ، مِنَ السلامة ، بالإيابِ** [4]

وقال شاعر اخر :

لقربُ الدَّار في الإقتار خيرٌ * من العيش الموسَّع في اغتراب**

ويقول الصمة القشري في الحنين الى صاحبته "ريا" ووطنه للدلالة به على طريقة تناولهم لموضوع الحنين في الشعر :

حننْتَ إلى ريَّا ونفسكَ باعدتْ

مزارَكَ من ريَّا وشَعْباكما معَا[5]

2- عبد العزيز عتيق " لأدب لعربي في الاندلس "، ص (269) .

3- سورة النساء لأية 66 .

4- محمد عيسى ، مجلة رسالة المسجد " لسنة الثامنة ، العدد الرابع، ربيع الثاني1431- أفريل 2010 ، ص (77،78) .

* ينظر: ابن كثير " لبداية ونهاية "3 ص (225،226).

5-عبد العزيز عتيق "لأدب العربي في الاندلس "، ص(270).

1- عبد العزيز عتيق : " الادب العربي في الاندلس " . ص (270،271).

ومما يشهد لذلك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضوع ثم تراها بعينيها تثقل عليك وتوحشك في موضوع اخر كلفظ الاخدع في بيت الحماسة ، يقول بعد ابيات :

تلَفَّتُ نحو الحيِّ حتَّى وجدتُني

وَجِعْتُ مِنَ الإصْغاءِ لِيتاً وأَخْدَعا[1].

وان كان المشارقة لهم فضل السبق الى شعر الحنين ، فان الاندلسيين قد لحقوا بهم ، وتقدموا عليهم في هذا الفن ، وفاقهم فيه كما وكيفا . ومرجع ذلك الى امرين : اولهما التقليد الذي جرى عليه الاندلسيون من الرحلة المطردة الى المشرق لطلب العلم ، وثانيهما ان معظم من رحلوا من الاندلس كانوا من ذوي القلوب[2]

الاقلام الشاغرة :

وأهم المعاني التي تدور عليها قصائد الحنين عندهم هي : الشوق الى الاوطان ، تجاربهم الذاتية في ديار الغربة ، تصوير ملا عب الصبا ، المزج بين الحنين والطبيعة في صورهم الشعرية .

يقول **ابو الحسن علي بن سعيد العنسي :** لما قدمت مصر والقاهرة ادركتني فيهما وحشة اثارت لي تذكر ما كنت اعهد اليه بجزيرة الاندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضا خصيبا ، وصبحت بها الزمان غلاما ، ولبست الشباب بردا قسيا فقلت :

هذهِ مصرُ فأينَ المغرِبُ، مذ نأى عَنّي دموعي تسكبُ

هذهِ مصرُ فأينَ المغرِبُ، * مذ نأى عَنّي دموعي تسكبُ**

فارقتهُ النفس جهلا إنّما، * يعرَفُ الشيء إذا ما يذهبُ**

أين حمص أين أيّامي بها، * بعدها لم ألقَ شيئاً يعجِبُ.**

كم تقضّى لي بها من لذّةٍ،* حيث للنهر خريرٌ مطربُ**

وقال الكاتب **ابو بكر محمد بن القاسم الحجاري** بعد ان ارتحل الى المشرق ، وقاسى الم الفراق ، وانتهى المطاف به الى حلب ، فأقام مقام مغترب :

2-الجرجاني "دلائل الاعجاز في علم المعاني " تصحيح الشيخ محمد عبده، صحح طبعه محمد رشيد رضا ،دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت 1981 ،ص(38) .

3- عبد العزيز عتيق :" الادب العربي في الاندلس " ، ص(273) .

أَيْنَ أَقْصَى الغَرْبِ مِنْ أَرْضِ حَلَبْ ؟

أَمَلٌ في الغَرْبِ مَوْصُولُ التَّعَبْ[1]

2) شعر الطبيعة: هو الشعر الذي يتخذ من عناصر الطبيعة الحية ، والطبيعة الصامتة مادته وموضوعاته ، وباب الوصف عند العرب اكبر فنون الشعر . فمن الطبيعة الحية وصف الجاهليون الابل والخيل ، وكواسر السباع ، ومن الطبيعة الصامتة وصفوا من النبات ضروبه والوانه ، ومن السماء نجومها وكواكبها ، ولم يخل الشعر الجاهلي من وصف الرياض والازهار والخمر ، ولا سيما في اقوال الشعراء الطين خالطوا الحضارة وراوا بساتين الحيرة او غوطة الشام ، ك**أعشى بكر** القائل في وصف روضة :

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعشبةٌ ،

خَضــرَاءُ جـــادَ عَلَيها مُسْبِلٌ هَطِــلُ

لقد توسع الاندلسيون في هذا النوع كما وكيفا بحيث انهم نوعوا فيه وكانوا اكثر براعة وابتكارا وتحديد ودقة في التصوير ، ذلك كله الى طبيعة الاندلس الرائعة الخلابة التي عبرت فيها الارض عن نفسها اجمل تعبير ، بما اطلعته غلى سطحها ونشرته في شتى ارجائها ، من طيب التربة ، وخصب الجناب ، ومن الانهار الغزار ، والعيون العذاب ، ومن البر والبحر ، والسهل والوعر ، ومن الحقول والبساتين والحدائق والرياحين .[2]

وهذه المحاسن هي التي جعلت **ابا اسحاق ابراهيم بن خفاجة** شاعر الطبيعة الأكبر في الأندلس ،يهتف بجمالها قائلا :

يا أهل أندلس لله دركُمُ * ماءُ وظلُ وأنهارُ وأشجارُ**

ما جَنَّةُ الخُلدِ إِلّا في دِيارِكُمُ * وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ !**[3]

ومرجع أخر زاد من ازدهار شعر الطبيعة في الأندلس الا وهو حياة اللهو و الاستمتاع التي كان يمارسها الشعراء ،ممثلة في مجالس الأنس و الطرب و الشراب ، كانت الطبيعة مسرحا لها لذلك أوحت بشعر غزير عبروا فيه عن لهوهم و حبهم و أشواقهم ، وكان في

1- عبد العزيز عتيق : " الادب العربي في الاندلس " ، ص (273 ، 274 ، 275).

2-المرجع نفسه، ص(284،285، 291).

3- ابن خفاجة الأندلسي :"الديوان " الطباعة الشعبية للجيش الجزائر 2007 ،ص(117).

كل مدينة من مدائن لأندلس شعراؤها اللذين أحبوا طبيعتها و تغنوا بجمالها في أشعارهم فلقد استحوذ الوصف في أدبهم و قصائدهم .

أ-السمـات العامة لشعر الطبيعة الأندلسي :

كان لتوسعهم في هذا المجال أن غلبت على قصائدهم سمات عامة منها :غلبة التشبيه والاستعارة على أساليبهم ،تشخيص الأمور المعنوية و تجسيمها ،بث الحياة و النطق في الجماد ،ويقول في ذلك **ابن خفاجة الأندلسي** في وصف جبل :

وقُورٍ على ظَهرِ الفلاةِ كأنهُ

طوالَ الليالي مُفكِرٌ بالعواقِبِ. [1]

فالجبل هو جماد قد اتحول بالتوسع الذي هيأته لا استعارة الى انسان حي ناطق يروي بعض ما مر به من تجارب .

كذلك الاستعانة بالصور المستوحاة من الطبيعة لاستعمال فنون البديع المعنوي و اللفظي مثل الطباق و المقابلة و المبالغة وحسن التعليل والجناس.

كذلك اطلاق العنان للخيال ليرتاد علم الفكر ويختار منه المعاني التي توحي بالحضارة والطرافة .

ومن السمات : التصرف في ارق فنون القول ، واختيار الالفاظ التي هي مادة لتصوير الطبيعة الحية والصامتة .

ذهب شعراء الاندلس الى **اتجاهات عديدة في شعر الطبيعة ومنها:**

1) **لتغني بجمال طبيعة بلادهم :** ونظم في هذا النوع **الشاعر ابن سفر المريني** الذي تغنى بجمال طبيعة الاندلس **يقول:**

فِــي أَرْضِ أَنْـــدَلُسٍ تَلْتــَـذُّ نَعْمَاءُ * وَلا يُفَـــارِقُ فِيهَا القَلْبَ سَـــرَّاءُ**

أنهـارُها فضّة والمسكُ تربتهـــا * و الخـــزّ روضتها و الدّرّ حصبَاء**

ليس النسيم الذي يهفو بها سحرا * ولا انتشـارُ لآلئ الطلّ أنـــــداء**

إنَّمَا أرَجُ النـــــدِّ اسْتَتَـــارَ بِهَـــــا * في مَاءِ وَرْدٍ فَطَابَتْ منهُ أرْجَاءُ** [2]

في النوع الثاني تغنوا بجمال مدنهم: ومثال ذلك قول ابن يرد الأصغر في وصف رصافة قرطبة التي بناها **عبد الرحمـــــن الداخل يقول :**

1-عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس" ،ص(292،293،294).

2- المرجع نفسه ، ص(294 ،295،296).

سقى جوف الرصافة مستهلٌ * تؤلفُ شمله أيدي الرياحِ**

محــلّ مــا مشيـــت إليه إلاّ * مشى فيّ ابتهاجي وانشرا**

كـــأنّ ترنـــّم الأطيـــــار فيه * أغـانٍ فوق أوتـــارٍ فصاح**

2) وصف المجالس طبيعة الاندلس : وثاني اتجاه يتمثل في وصف مجالس الطبيعة في الارض و السماء ولهم في هذا الاتجاه شعر كثير يعتمد اكثر على الشبيه والاستعارة ومن ذلك **قول الوزير ابي جعفر بن سعدون في وصف روض:**

وروضٍ كســـاه الطلّ وشياً مجــدَّدَا * فـــأضحى مُقيماً للنفــوس ومُقــعدَا**

إذا صافحته الريح خلـــت غصونـه * رواقص في خضر من القضب ميدا**[1]

ومن وصف **اراكة في روضة قول ابن خفاجة الاندلسي**

وَأَراكَـــةٍ ضَـرَبَت سَماءً فَوقَنــا* تَنـدى وَأَفلاكُ الكُؤوسِ تُـــــدارُ**

حفت بدوحتها مجــرة جــدول * نثرت عليه ونجومها الأزهار.**

وَكَـــأَنَّها وَكَــأَنَّ جَدوَلَ مائِـــها * ** حَسناءُ شُدَّ بِخَصرِها زِنـــّارُ

في رَوضَةٍ جِنحُ الدُجى ظِلٌّ بِهـــا* وَتَجَسَّمَت نَـــوراً بِها الأَنـوارُ**[2]

وقد اكثر شعراء الاندلس من وصفهم الازهار والورود معظم هذا الوصف يأتي في ثنايا وصفهم للرياض والبساتين.

والحدائق ومثال ذلك **قول ابن هانئ الاندلسي** يصف جلنارة وهي زهرة الرمان :

وبنت انك كالشباب النصر* ** كانه بين الغضون الخضر

جنان باز او جنان صقــر* ** قد خلفته لقوة بوكـــــــر

وقال **ابو اسحاق بن خفاجة** في وصف خيره **:**

وخيريـــة بيـــن النسيم وبينـــها * ** حـــديث اذا جن الظلام يطيب

لها نفس يسري مع الليل عاطـــر* ** كان له ســـرا هنـــاك يريـــب

وقال **ابن الزقاق في الشقيق الاحمر :**

1-عبد العزيز عتيق لأدب لعربي في الاندلس ص(297- 298).

2-ابن خفاجة لأندلس الديوان ص(119).

ورياض من الشقائق اضحى * ** يتهـادى بهـا نسيم الـرياح

زرتها والغمام يجلد منـــها * ** زهرات تروق لون الــــراح

قلت ما ذنبها ؟ فقال مجيبها * ** سرقت حمرة الخدود الملاح

ومن مجالي الطبيعة الاخرى : وصف ريح الصبا يقول **علي بن اب الحسين :**

خليـــلي مالي كلما هبت الصبا* ** أحـــن الافـــق الـــذي تتيمـ

اكلفها حمل الســـــلام اليكـم* ** فـان خطرت يوما عليكم فسلموا.[1]

وفي وصف البرق والرعد يقول **مروان بن عبد الرحمن** الملقب بالطليق :

فكأن الغمام صب عميــــــد * ** إن بالرعد حرقة واشتكـــاء

وكأن البروق جـــــــواه * ** والحيا دمعه سيل بكـــــاء

وقال **ابو اسحاق ابراهيم بن خفاجة** يصف نهرا :

لله نـهر سال في بطحــــــاء * ** أشهى ورودا من لمى الحسناء

متعطف مثل السوار كأنــه * ** والزهر يكنفه مجر سمــــــاء

ولم يفت شعراء الاندلس وهم يجولون في بساتين بلادهم ، وحدائقها ، ويعقدون فيها اكثر مجالس انسيهم وطربهم فيها ، فصوروا ثمارها وفاكهتها الحلوة بشتى الوانها واشكالها وروائحها الطيبة .

قال **ابو الحجاج يوسف المالقي** في وصف تين مالقة وكان يضرب المثل بحسنه ويجلب حتى للهند والصين :

مالقة حييت يا تينهـــــا * ** الفـلك من اجلك يأ تينهـــا

نهى طبيبي عنه في علـــتي * ** ما لطبيبي عن حياتي نـــهى ؟[2]

3)**- وهناك اتجاهات اخرى في شعر الطبيعة** :عندهم تتجلى في وصف مجالس الاندلس والتي تعد ظاهرة اجتماعية ، قبل ان تنتشر اكثر في عصر ملوك الطوائف .[3]

1-عبد العزيز عتيق : " الادب العربي في الاندلس "ص(301 ،302،304).

2- المرجع نفسه : "ص(305،306 ،).

3- المرجع نفسه : ص (308) .

ومن هذه المجالس مجالس الملوك والامراء ،وكانت تعقد عادة في قصورهم او في زوارق على الانهار تحف بها السفن ، كان يدعى اليها اعيان الوزراء ونبهاء الشعراء ، واهل الموسيقى والغناء ، وبذلك يتعاون الشعر والفن والشراب في اصفاء جو من الانس والطرب والبهجة على هذه المجالس .

أما مجالس الانس العامة ، وهي اكثر حرية وانطلاقا فكانت تعقد في الرياض وعلى مجاري المياه وشطان الجداول والانهار المحفوفة بالأشجار والازهار .

وأهم سماته : غلبته الارتجال عليه ، قلة القصائد الطوال فيه ، وكثرة المقطوعات ، غلبته عنصر الخيال عليه ، تنوع صوره الشعرية بتنوع العناصر التي تتركب منها .

يقول الشاعر علي بن احمد في وصف الخمر وساقيها :

قم فاسقيني والرياض لابســـة * وشيا من النور حاكه القطـــــــــر**

في مجلس كالسماء لاح بــــــه * من وجه من قد هويته بـــــــــدر**

ويقول ابو الحسن علي بن سعيد العنسي :

باكر اللهو ومن شاء عتـــــــب * لا يلذ العيش الا بالطـــــــرب**

يا نسيما عطر الارجاء ، هــــــل * بعثوا ضمنك ما يشفي الكــرب**[1]

4)- وصف قصور الاندلس: وكما تغنى الشعراء بطبيعة الاندلس الحية والصامتة ، كطلك كان لهم قصور الامراء والملوك ، هذه القصور الشامخة الباذخة التي ابدعت يد الفن في هندستها وزخرفتها من الخارج والداخل وتأنقت في انشاء حدائقها وكل ما يتعلق بها ، فلقد تنافس الشعراء في وصفها وتصويرها ايام عزها ، وفي رثائها والتفجع عليها بعد خرابها . وقد سلك الشعراء في وصفها طرائق شتى منها : الوقوف على الوصف عند حد القصر وحده ، وصف القصر بمدح صاحبه ، ومن ذلك قول **ابن حمد الصقلي** يصف دارا بناها المعتمد بن عباد.

و يا حبذ دار قضى الله انهـــــــا * يجدد فيها كل عــز ولا يبـــــــــلى**

مقدسة لو ان مـوسى كليمـــــــه * مشى قدما في ارضها خلع النعــلا**

اذا فتحت ابوابـها خلت انـــــهـــا * تقول بترحيب لداخلها اهـــــــــلا**[1]

1-عبد العزيز عتيق : " الادب العربي في الاندلس " ص (308 ، 309 ، 311).

استنتج من كل ما سبق ان " شعر الطبيعة " اخذ توسعا في الكم والكيف عند الاندلسيين فتنوع في قصائدهم ، بحيث انهم وظفوا عناصر الطبيعة بقوة ، فكانت ملهمتهم ، كيف لا وانهم استقروا في بلد يعتبر جنة في الارض ، هكذا ذهب شعراؤه الى الوصف في شتى انواعه ، وقدموا بذلك شعرا راقيا ملهما .

ثالثا: فنون الشعر الاندلسي المستحدثة

1)- الموشحـــــــــــات :

أ)- لغـــــة: وشح : وشح المرأة : البسها الوشاح ، وشح بسيفه : تقلد .

* **الموشحة** : القصيدة من الشعر الجارية على نظام التوشح الاندلسي .

* **الوشاح** : نسيج عريض يرصع بالجوهر ، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها.[2]

* **و ش ح** : (الوشاح)بكسر الواو شيء ينسج من ايم عريضا وترصع بالجواهر ،

* **ووشحها فتوشحت**: لبسته ، وربما قالوا : توشح الرجل بثوبه وسيفه .[3]

***وشح** : (وشحه) : البسه الوشاح ، ذو الوشاح سيف **عمر بن الخطاب** رضي الله تعالى عنه .

* **الوشاح**: شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر ، تشده المرأة بين عاتقها و كشحيها ج : وشح وأوشحة ، ووشائح .

* **الوشحاء** : العنز السوداء الموشحة ببياض ، الوشاحة : السيف .[4]

ب)- الموشح : خصائصه ونشأته:

الشعر العربي من حيث القافية ثلاثة اجناس : قصيد ورجز و مسمط وكلها قديمة ، فالقصيدة ابيات متوالية ومختومة بمجموعات متماثلة من الاحرف تدعى **قافية** ، وتكون هذه المجموعات كلها مبنية على حرف واحد مخصوص يسمى **"رويا "** ، **قالت الخنساء** ترثي اخاها صخرا :

1- المرجع نفسه ، ص(313،314).

2- ابراهيم قلاتي : " الهدى " قاموس عربي – عربي ، دار الهدى الجزائر ص (710) .

2- محمد بن ابي بكر الرازي : " مختار الصحاح " ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1979 م ، ص (723) .

4- البستاني : " منجد الطلاب " قاموس ، دار المشرق ، بيروت ، ط46 ، 1986 ، ص (919) .

يذكرني طلوع الشمس صخـــــرا *   واندبه لكل غروب شمـــــس**

ولولا كثرة الباكين حـــــــولي *   على اخوانهم لقتلت نفـــــسي**

والرجز في الاصل بحر من بحور الشعر تنظم عليه الاراجيز والارجوزة اشطر وتر مبنية كلها على حرف واحد قالت امرأة **لأبي حمزة الضبي الخارجي** وكان زوجها قد هجرها وجعل يبيت في خيمة مجاورة لخيمتها ، وهو غاضب لا نها كانت مئناثا ولدت له عدة بنات ولم تلد له غلاما :

ما لأبي حمـــزة لا يأتينـــــا *   يظل في البيت الذي يلينـــــا**

غضبان ألا نلـــد البنينـــــا * تالله ، ما ذلـــــك في أيدينـــا**

وانما نأخذ مـــا أعطينـــــا * ونحن كالأرض لزارعينـــــــا**

ننبت ما قد زرعوه فينـــــــا

وتجئ اشطر الاجوزة ايضا شفعا ، ويكون لكل شطرين (الصدر و العجز) في كل بيت من ابياتها قافية على روي واحد .**قال ابو العتاهية** :

إن الفساد ضده الصـــــلاح * يا رب جد جـــره المــــزاح**

ما تطلع الشمس و لا تغيــب * إلا لأمــر شأنـــه عجيـــــب**

لكل شيء معدن و جوهـــــر * وأوســط وأصغـر وأكبـــــر**

أما التمسيط : فانه يقوم على اختلاف القوافي والاوزان معا ، وهو فن تتنوع فيه القوافي والاوزان في المقطوعة الشعرية الواحدة ، وهو جنس الشعر القريب من **الموشح**.[1]

اذن **فالموشح** : هو فن شعري استحدثه الاندلسيون وهو من ابداعاتهم وبالتالي يعتبر فنا اندلسيا خالصا ، فـ**ابن بسام** صاحب **" الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة "** يقرر ان اهل الاندلس هم الذين وضعوا حقيقة صنعة التوشيح ونهجوا طريقتها .[2]

1- عمر فروخ : " تاريخ الادب العربي " ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ،1981 ،ج4 ، ص(410،411 ، 412).

2-عبد العزيز عتيق : " الادب العربي في الاندلس " ص(339).

وابن **خلدون** في " مقدمته " يؤكد هذه الحقيقة بقوله : " **واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ".**[1]

وفي ذلك كله يقرر ابن خلدون انهم " ينظمونه اسماطا أسماطا و اغصانا أغصانا يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا يلتزمون عند قوافي تللك لا غضان واوزانها متتاليا فيما بعد الى اخر القطعة ،واكثر ما تنهي عندهم الى سبعة ابيلت ،ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب لأغراض و المذاهب ن وينسون فيها ويمدحون كما فعل في القصائد ،وتجاروا في ذلك الى غاية واستظرفه الناس جملة ، الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه "

وقد عرف به كذلك القاضي في هبة الله بسناء الملك في كتابه :"دار الطراز" بقوله: **"الموشح: كلام منظوم ، على وزن مخصوص ، بواقف مختلفة وهو يتألف في الاكثر من ستة اقفال وخمسة ابيات ويقال له : لا قرع ،فأتام ما المبتدئ فيه بالأقفال ،والاقرع ما مبتدئ فيه الابيات "**

أما عن سبب تسمية بالموشح : فمن قائل "وقد سمي هذا الوزن بالموشح لما فيه من ترصيع وتزين وتناظر وصنعة ،فكأنهم تشبوه بوشاح المرأة المرضع بلؤلؤ والجواهر [2].

ومن القائل "والذي نراه فب اضل هذه اللقطة-الموشح- انها منقولة عن قولهم : ثوب موشح ،وذلك لوشي يكون فيه ، فكان هذه الاسماط والاغصان التي يزينونه بهذا ، هي من الكلام في سبيل الوشي من الثوب ثم صارت اللفظة بعد ذلك علما " [3]

ج- أصله :

ان سلسلة المحاولات التي تخللت مسيرة الشعر العربي قبل الموشح لم تبلغ ما بلغه فن التوشح حين ظهري في الاندلس وكل من يمكن قوله ،انها خرجت خروجا محتشما عن

3- ابن خلدون:" المقدمة "، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،2012 مجلد 1 ،ص(612)

1-عبد العزيز عتيق :لأدب لعربي في الأندلس ص (340،341).

2- مصطفى صادق الرافعي " تاريخ آداب العرب " دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2010م ،ج3 ص (111) .

النظام القافية الرتب . ومن المحاولات التي خرجت عن طريقة الشعر المألوفة في المشرق نذكر **المسمطات والأراجيز المقطعية .**

ان التسميط لم يخرج عن التقاليد الشعرية الا ما فيها يخص **القافية اما الموشحات،** فضلا عن تنويعها للقوافي ، فإنها في الاوزان ،كما نوعت احيانا في اللغة وتميزت بأسلوب رقيق اكثرها تظم للغناء ، لذلك تعتقد ام المسمطات ام تكن هي الاساس في نشأة الموشح .

هناك فريق من الباحثين العرب نسب بالخطأ **موشحة "ايها السا في اليك المشتكي** الى عبد الله بن المعتذر ،لعباس ،الذي عاصر **مقدم بن معافى القبري الاندلسي .**فاستغالوها في دراستهم [1].

للجزم بمشرقية الموشحات لأغراض عصبية . لكن هذه الموشحة تتسبب في العديد من المصادر العربية الى **ابي بكر بن زهر الاندلسي** وهي على نسج الاندلسيين .

فالموشح اذن ، اندلسي النشأة ، وهو نوع من انواع الشعر العربي ، وقد اجتمع مؤرخو الادب القدامى على ان فن التوشح من مخترعات الاندلسيين ، واشادوا ببراعتهم في هذا اللون .

أما المستشرقون الاسبان فقد ذهبوا الى ان الموشحات الاندلسية قد تأثرت في نشأتها باغان اعجمية نظمت باللهجات الإبرية القديمة . وحين نعود الى تاريخ اهل الاندلس نرى ان السنتهم كانت متعددة بتعدد اصولهم ، فالي جانب العربية الفصحى لغة الدين والدولة والادب الرفيعة كانوا يتحدثون احيانا بلهجات اخرى .

اتخذ فريق من الباحثين الاسبان **موضوع اللهجات** في الاندلس حجة لتعريب اصل الموشح خاصة بعد اكتشاف بعض الخرجات العجمية في الموشحات والتي تعد من بقايا اغاني الرومانث الاسبانية . لكن هذا الزعم لم يتأكد بادله قاطعة لا نه لم يثبت فيما اذا كانت الموشحات الاولى تحتوي على **الخرجة ام لا ،** لان الخرجة حسبما جاء في المصادر تمثل مرحلة من مراحل تطور الموشح

لقد نظم الوشاحون الخرجات بلهجات مخالفة للغة اقسام الموشحة حتى تتميز الخرجة من بقية الاقفال في الموشحة ، ولم يقتبس الوشاحون ابياتا ولا اوزانا عجمية ، وانما كانوا

3-محمد عباسة : الموشحات والازجال الاندلسية واثرها في شعر التروبادور " ، دار ام الكتاب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2012 م ، ص (51 ، 52).

يأخذون اللفظ العمي والعجمي ويسمونه **المركز فالموشح من ابتكار المثقفين ، وهو اندلسي المنشأ وعربي الاصل** ولا يمت بصلة الى مصادر اجنبية [1]

وهناك عدد من النظريات في نشأة الموشحات منها :

1)- النظرة الاجنبية :

يقول بالنثيا : قال ريبيرا : (ان اهل الاندلس كانوا يتعلمون العربية الفصيحة لغة رسمية في المدارس والدواوين ، واما في شؤونهم اليومية فكانوا يستعملون الاعجمية . ثم يقول : وهذا الازدواج في اللغة هو الاصل في نشوء طراز شعري مختلط ....وقد اخذ هذا الطراز الجديد من الادب الشعبي صورتين : احداهما الزجل والثانية الموشحة)[2]

لقد تبنى هذه النظرية الاجنبية نفر من العرب ، ومنهم **مصطفى عوض الكريم** الذي ذهب مذهب التعنت ردا على سدا احبتها يقول : "ولكن الاستاذ نيكل يزعم ان الطروبين هم الذين تأثروا بالموشحات ... ويذكر ان الموشحات فن عربي بحت..."[3]

2)- النظرية الفنية : قال ابن خلدون في مقدمته : (واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنسيق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا ، واغصانا اغصانا يكثرون من اعاريضها المختلفة ويسمون المتعددة منها بيتا واحدا ويلتزمون ذلك عند قوافي تلك الاغصان واوزانها متتاليا في ما بعد الآخر القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات . ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراس والمذاهب ، وهم ينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد . وتجاوزوا في ذلك الى الغاية ، واستظرفه الناس جملة ، الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه).[4]

3

1- محمد عباسة : " الموشحات ن والازجال الاندلسية واثرها في شعر الترو با دور " ص (52 ، 53 ، 54 ،55).

2-عمر فروخ : "تاريخ الادب العربي " ج4 ، ص (422 ، 423)

1- عمر فروخ : "تاريخ الادب العربي " ج4 ، ص (424 ، 425).

2- ابن خلدون : " المقدمة " المجلد 1 ، ص (612) .

3)- النظرية الموسيقية : قال ابن سنا الملك في كتابة الطراز : (ومن الموشحات ما لا مدخل لشيء منه في اوزان العرب ، وهو الكثير والجم الفقير والعدد الذي لا ينحصر ، واكثرها مبني على تأليف الارغن ، ومن الموشحات قسم اقفاله مخالفة لا وزان ابياته مخالفة تامة ....)

ويقول ايضا : (.... اما الاندلسيون فكانوا يلقون اذانهم الى الألحان ثم يؤلفون عليها الكلمات) .

والتوشيح الصحيح فن صعب ، فان على الوشاح ان يكون موسيقيا ، قبل ان يكون شاعرا ، والعزف على الالة الموسيقية هو الميزان الصحيح لبراعة الوشاح .[1]

د- مخترع الموشحات :

أما الموشح فأول من اخترعه الاندلسيون وهو كالشعر يلزم فيه الاعراب والوزن ، غير ان وزنه تارة يوافق الاوزان العربية وفي بعض الاحيان مع تغيير قليل وتارة يخالفها .[2]

وعن أول من اخترع الموشح يقول **ابن بسام** : " واول من صنع اوزان هذه الموشحات .. (منطقتنا- بلادنا الاندلس) ، واخترع طريقتها فيما بلغني : **محمد بن محمود القبري الضرير** ، وكان يصنفها على اشطار الاشعار ، غير ان اكثرها على الاعاريض المهملة غير المستعملة (...) وقيل ان **ابن عبد ربه** صاحب " العقد " اول من سبق الى هذا النوع من الموشحات عندنا ، ثم نشا **يوسف بن هارون الرمادي** فكان اول من اكثر فيها من في التضمين في المراكز (....)[3]

اتفق المؤرخون على أن فن أندلسي خالص ،يقول ابن خلدون عن مخترع الموشحات : (وكان المخترع لها - الموشحات - بجزيرة الأندلس معدم بن معافر الفريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني وأخذ عنه أبو عمر أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ،ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ،وكسدت موشحاتها فكان أول من برع في

3- عمر فروخ " تاريخ الادب العربي " ، ج 4 ، ص(426،427).

2- محمد بن ابي شنب : تحفة الادب في ميزان اشعار العرب " ، مكتبة الامريكا والشرق ، ادريان ميزونف ، باريس ، ط3 ، 1954 ،ص(117).

1- محمد عباسة : " الموشحات والازجال الاندلسية واثرها في شعر التروبادور " ، ص(55).

هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز ،شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية ... و زعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصرين اللذين كانوا في زمن الطوائف).

- **يقول عبادة في موشحته :**

بدر تم شمس ضحـــــــى * غصن نقا مسك شـــــــم**

ما أتم ما أو ضحـــــــا * ما أو رقا ما انـــــــــم**

لا جرم من لمحـــــــــا * قد عشقا قد حــــــــرم** [1]

ولاختلاف في حقيقة مخترعه لا ينبغي حقيقة نشأته ووجوده ،وهذا هو المهم ،اذ ليس لزاما في فني متعدد لعناصر متشعب الفروع كالموشحات أن يكون له مخترع واحد . [2]

هـ - نسق الموشـحـات :

للموشحات نسقان رئيسيان :النسق المؤتلف والنسق المختلف ،والنسق المؤتلف يكون عادة في الموشحات التي على الأبحر المألوفة من الرمل في الأغلب .ويكون للموشح على النسق المؤتلف مطلع ثم تليه الأبيات ،ويكون كل بيت من أسماط و قفل أو قفلة ،ويحسن أن نشير الى ثلاث درجات من الموشحات المؤتلفة :

الموشحة المفردة (البسيطة) ،الموشحة المثناة (المزدوجة) والموشحة المركبة (المتعددة)

ومثال الموشحة المفردة المنسوبة الى **أبي بكر بن زهد يقول :**

المطلع : **أيها الساقي ، اليك المشتكى *** قد دعوناك وان لم نستمع**

البيت 1 : **ونديـــم همـــت في غـــرتـه**

وبشـــرب الراح من راحـــتـه

كلما استيقـــظ من سكـــــرته

جذب الـزق اليـــه واتكـــا * و سقـــاني أربعا في أربع .**

فالمطلع في الموشحة المفردة يتركب من سمطين لكل سمط منهما قافية مستقلة أما **البيت** فيتركب من خمسة أسماط ،ثلاثة أسماط على روي واحد ،ثم سمطين قافية لكل سمط منهما على روي السمط المقابل له في المطلع [1]

1- ابن خلدون : " المقدمة " المجلد 1 ، ص (612) .

3- عبد العزيز عتيق :الأدب العربي في الأندلس ،ص (343) .

أما الموشحات المثناة : فتكون الأسماط في مطلعها أربعة ،أي مضاعفة ،ويبنى صدرا المطلع علة روي وعجزاه على الروي أخر ،وكذلك يكون البين في الموشحة المثناة ضاعفا ،ستة أسماط بروي لصدورها وروي أخر لأعجازها كم أربعة أسماط في القفلة تقابل بقوافيها قوافي المطلع ومثال ذلك **موشحة ابراهيم بن سهل :**

ما درى ظبي الحمى أن قد حمى * قلـب صـب حـلـة عن مكنس ؟**

فهـو فـي حـر وخفـق مثلـما * لعبـت ريـح الصـبا بالقبس**

يا بـدورا أشرقـت يوم النـوى * غـررا تسلك بـي نـهـج الغرر**

ما لنفسي في الهوى ذنب سـوى * منكم الحسنى و من عيني النظر**

أجتني اللـذات مكلـوم الجـوى * و التـداني من حبيبـي بالفكـر**

كلمـا أشكـوه شوقـي بسـما * كالـربى بالعـارض المنبـجس .**

اذ يقيـم القطر فيهـا مـأتـما * و هـي من بهجتها في عـرس .**

وأما الموشحة المتعددة فهي التي تكون المطلع فيها مركبا من ستة أسماط مجزوءة ويكون البيت فيها بالتالي ثلاثة أضعاف البيت في الموشحة المفردة .

يقول ابن زهر في موشحته :

ما لِلمَـولَّهِ مِـن سُكرِهِ لا يُفيق يا لَـه سَكران

من غير خمر ما للكئيب المشوق يندب الأوطان.[2]

ويقول : **هل تُستَعادْ أيـامُنـا بالخليـج و ليـالينـا ؟**

أو يستَفادُ مِنَ النَسيم الأَريـج. مِسكَ دارينا؟

وَإِذ يَكـادُ حُسنُ المَكانِ البَهيج. أَن يُحيـينا

ثم هناك الموشحات ذوات النسق المختلف :وهي الموشحات لم يتبع الوشاحون فيها قاعدة ما ،بل كان كل وشاح يختار من ترتيب الأسطر ، و من ترتيب القوافي ما كان يروق له أو يتفق له ،وهذا القسم من الموشحات هو ما لا ندخل لشيء منه في أوزان العرب .

فمن أمثلة النسق المختلف موشحه أبي يكر الأبيض الوشاح يقـول :

1- عمر فروخ :"تاريخ الأدب العربي" ،ج4،ص(429،430،431).

1- عمر فروخ :"تاريخ الأدب العربي" ،ج4،ص(430،431).

البيت الأول	البيت الثـــاني
ما لذ لي شرب راح	مما أباد القلوبا .
على بساط الأقاحي،	يمشي لنا مستريبا .
لولا هضيم الوشاح	يا لحظة رد نوبا .
اذا أتا في الصباح ،	و يا لماه الشنيبا.
أو في الأصيل	برد غليل .
أضحى يقول :	صب عليل .
ما للشمول ؟	لا يستحيل .[1]

و-أجزاء الموشحة وأسماؤهـــا:

للموشحة من النسق المؤتلف أجزاء متحيزة أطلق عليها عدد من الأسماء ،والاشارة هنا الى الموشحة المشهورة لابن زهر :

- **المطلع : سلّمِ الأمر للقضا *** فهو للنّفس أنفعُ**

واغتنم حين أقبلا (أ)
وجه بدر تهلـــلا (ب)
لا تقل بالهموم لا (ج)
(أسمــاط)

كل ما فات وانقضى * ليس بالحزن يرجع**

واصطبح بابنت الكروم (2أ)
من يدي شـــادن رخيم (2ب)
حين يفتر عـــن نظيم (3ج)
(أسمــاط)

فيهِ بَرقٌ قد أومَضا * وَرَحيقٌ مُشَعشَع(3)**

أنا أفـديه من رشـــا (3أ)
أهيف القـــد و الحشا (3ب)
سقى الحين فانتـــشى (3ج)
(أسمــاط)

مذ تولى وأعراضا * ففـؤادي يقطـــع(4)** [1]

2- عمر فروخ :"تاريخ الأدب العربي" ،ج4،ص (431،432).

من لصب غدا مشوق (4أ)
ظل في دمعه غريق (4ب)   أسماط
حين أموا حمى العقيق (4ج)
وَاِستَقلّوا بِذي الغضا *** أسَفي يَومَ وَدّعوا(5)
ما ترى حين أظعنا (5أ)
وسترى الركب موهنا (5ب)   أسماط
واكتسى الليل بالسنا (5ج)
نورُهُم ذا الذّي أضا *** أم مَعَ الرَكبِ يوشَعُ؟(6)

1)-المطلع : اصطلاح : يطلق على القفل الأول من الموشحة وهو يتألف عادة من شطرين أو الربعة أسطر ،يقول ابن زهر في مطلع موشحته .

القفل1: سلّمِ الأمر للقضا * فهو للنّفس أنفعُ.**

يسمى الموشح تاما اذا بدأ بالمطلع ؟أو القفل الأول :فاذا خلافها كان **أقرعًا** .

2)-**القفل** : هو الجزء المتكرر في الموشحة والمتفق مه المطلع أو القفل الأول في وزنه وقافيته وعدد أجزائه ،فالأجزاء **عددها ستة باحتساب المطلع في موشحة ابن زهر كما هي مبينة مرقمة و يسمى الموشح التام وفي الأقرع تتردد خمس مرات** .[2]

3)-**الأسماط** : وهي أسطر الدور ،بحيث لا تقل في الموشح عن ثلاثة وقد تزيد عن ذلك ويشترط فيها أن تكون قافيتها على حرف روي واحد .

ومثال ذلك كما مبين في موشحة بن زهر بـ :أ، ب، ج.

4)-**الغصن** : هو اسم اصطلاحي لكل سطر من أسطر المطلع أو الأقفال أو الخرجة في الموشح ، وأقل عدد الأغصان وكذلك في أقفاله وخرجته اثنان ،وهذان الغصان قد يكونان من قافية واحدة و حرف روي واحد ،كقول أبي بكر يحي بن يحي :

المطلع : حيتك أربع هن العمر *** ظل وماء والمدام والوتر

الغصن الأول   الغصن الثاني

1- عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس" ص(346،347).

2- المرجع نفسه" ص(347،348).

و قد يكونان قافيتين مختلفتين كقول ابن زهر :

المطلع : أيها الساقي اليك المشتكى (الغصن الأول) قد دعوناك وان لم تسمع (الغصن الثاني)

وقد تكون الأغصان من ثلاث قوافي متماثلة ،كقول الوزير أبي بكر بن رحيم :

من صبا كما أصبو (الغصن الأول) فـهو للصبـا نهــب (الغصن الثاني) واعلــم أيها القلب (الغصن الثالث)

وقد تكون من ثلاث قواف مختلفة ،كقول أبي بكر السرقسطي :

سقيـــا للـــدهــر (الغصن الأول) قد نلت فيه اقتراحي (الغصن الثاني) من رشا وسنان .[1] (الغصن الثالث)

5)-الدور : و هو ما يأتي بعد **المطلع في الموشح التام ،وان كان الموشح أقرع فإنه يأتي في مستهل الموشح** .

ففي الموشحة التامة **لابن زهر نجد أول دور فيها هو قوله** :

الدور الأول

و اغتنمْ حين أقبلا
وجه بـــدرٍ تهلَّلا
لا تقلْ بالهمـومِ لا

ثم يعقبه قفل ،يليه الدور الثاني :

الدور الثاني

واصطبح بابنة الكروم .
من يدي شادن رخيــم .
حين بفتر عن نظيــم .

2- عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس" ص(346،352) .

ثم يأتي قفل يليه الدور الثالث، وهكذا حتى ختام الموشح ،والموشحات التي لم تتجاوز خمسة أدوار هي في الغالب **"الموشحات الغنائية"** أي التي كانت تنظم أصلا ليتغنى بها ،**أما "الموشحات الشعرية"** فلم يتقيد الوشاحون فيها بعدد معين من الأدوار ،كما هو الشأن **في موشحات المتأخرين من أمثال ،"لسان الدين بن الخطيب "وتلميذه "ابن زمرك" فمن هؤلاء من بلغ عدد الأدوار في بعض موشحاته عشرة أدوار .** [1]

6)-الخرجة : والخرجة عبارة عن القفل الأخير من الموشحة ،وهي في موشحة بن زهر تتمثل في قوله :

الخرجة : **نورُهُم ذا الذّي أضا *** أم مَعَ الركبِ يوشَعُ ؟**

والفرق بين **المطلع ،والأقفال والخرجة ،أن المطلع** غير ملتزم في الموشح لعنصر أو جزء أساسي داخل بنائه فاذا ورد فهو تام واذا لم يرد فهو أقرع ،**أما الأقفال والخرجة** فانهما يشكلان جزئين أساسين في بناء الموشح ،وبدونها لا يسمى الموشح موشحا .

و الخرجة ثلاثة أنواع :خرجة معربة الألفاظ فصيحة ،**وخرجة ملحونة الألفاظ العامية ،وخرجة أعجمية الألفاظ** ،والخرجتان الأخيرتان **العامية و الأعجمية** تكثران في **الموشحات التي يتغنى بها ،فما الخرجة العربية الفصيحة** فتتميز بها **الموشحات الشعرية** التي تقال في **الغزل أو المدح أو ما أشبه ذلك .**

ومثال الخرجة المعربة الفصيحة في الغزل من موشح ابن زهر يقول :

الدور الأخير

كبدي حرى ودمعي يكف
يعرف الذنب ولا يعترف
أيها المعرض عما أصف

قَدْ نَمَا حُبُّكَ عِنْدِي وَزَكَا * لا تَقُلْ أَنِّي فِي حُبِّكَ مُدَّعِ** .2

و من الخرجة العامية مثالها في موشح لأبي العباس أحمد بن عبد الله ،المعروف بالتطيلي الضرير يقول :

1- عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس" ص(353،354) .

1- عبد العزيز عتيق :"الأدب العربي في الأندلس" ص (349،350) .

الدور الأخير:

ألقاك عن عفر   فلا أناجيكا   إلا اشتياق.
والله ما أدري   قد التوى فيكا   أمري وضاق.
أشدو وما عذرى   ألا أقا ضيكا   الا العـناق .

يا رب ما أصبرني   نرى حبيب قلبي ونعشقو
لو كان يكون سنة   فيمن لقـي خلـو يعنقـو

و من الخرجات الأعجمية خرجة موشح للوزير ابن المعلم أحد شعراء الطوائف وهي :

بن يا سحارة
ألب قشت كن بلغفور
كند بني بدي أمور
وترجمة هذه الخرجة :

تعالي ، يا سحارة **!**
الفجر الذي هو جميل كعادته
حين يجيء ، يتطلب حبيبا . [1]

البيت : ومفهوم البيت في لموشحة غير مفهومة في لقصيدة التقليدية فالبيت في لموشحة يتكون عادة **من لدور من القفل الذي يليه مجتمعين** ، وعلى سبيل لمثال **فالبيت** ، **لأول من موشحة ابن زهر هو :**

البيت الأول:

واغـتـنم حين اقبلا
وجـه بدر تهـللا
لا تـقـل بالـهـموم لا
كل ما فات وانقضى * ليس بالحزن يرجع**

2- المرجع نفسه" ص (351،352).

والبيت في لموشحة نوعان : بسيط ومركب ،فالبسيط ما كان اعداد اسماط دوره **ثلاثة أو أربعة أو خمسة** ،والنوع الشائع من البيت لبسيط ما كان عدد اسماط دوره **ثلاثة من فقر بين او ثلاثة او اربعة** او خمسين فقرات .

وسال البيت لمركب في موشحه ابي عباس التطيلي الضرير يقول :

البيت المركب

لله مـــا أ قـــرب   على محبيه   وابعـدا !
حلو اللمى اشتب   اسى الضن به   واسعدا
احبب به احببت   ويا تجنيه   طال المدى
اما ترى حزني   نارا على قلبي   تحرقت ؟
حبي له جنة   يا ماء يا ظل   رونق ! [1]

ز - أغراض الموشح :

لاشك ان لموشحات كانت ،وقفا هي الغناء فهي لذلك كانت تعالج في اغراضها **مواضيع الغزل والخمريات ،ووصف الطبيعة** ، ولكنها لم تلبث ان ذلك مطيعتها للامتداح ،حيث امتطاها الوشاحون نحو عطايا الملوك والامراء وهياتهم .

ثم تطرقت لكل ما يتعلق بالمدح كالتهاني ووصف القصور السلطانية والطرد **،ومدح النبي صلى الله عليه وسلم** الذي اصبح في الشعر التقليدي فنا قائما بذاته **ويتميز هذا النوع الاخير في لموشحة بالصدق والايمان وبالشوق الحنين.**

ويشمل اغراض المؤشر **التصوف والزهد** [2]

ح- لغة الموشحات :

للبحث في لغة الاندلسيين ينبغي التعرف على العناصر البشرية التي يتركب منها المجتمع الاندلسي ،فإلى الجانب **لعرب الشراقة والمغاربة** نجد قسمين من السكان الاصليين: **قسم اعتنق الاسلام وهم المسالمة ،وقسم بقي على دينه وهم اهل الذمة او المستعربة** بالإضافة إلى **المولدين الذين ولدو من امهات اسبانيات او افرنجيات ومن اباء المسلمين ،كما ظهر**

1- عبد العزيز عتيق لآداب لعربي في الاندلس " ص(356 ، 357 ، 358).
2- جلول يلس ، الخنفاوي امقران : " الموشحة والازجال " منشورات لسهل الجزائر 2009، ص(23).

اليهود ،في الاندلس ،وهكذا امتزجت اللغات غير ان اللغة العربية هي التي سيطرت على المجتمع الاندلسي في الاخير.

كم ان هذه السيطرة لم تستمر ولم تقض عل اللهجات الاخرى ،فقد حافظ المغاربة على لهجاتهم البربرية المختلفة ،وحافظ السكان الاصليون على لهجاتهم الرومانية اي لها من اللاتينية

ادى تشابك هذه العناصر المختلفة الى مجتمع متعدد للهجات بل كان الفرد الواحد منهم يتكلم اكثر من لهجة وهذا مدفع لأندلسيين الى التجديد حتى في اللغة العربية لفصحى وابتكار الاسماء لمسميات لم تألفها العربية

ان اللغة الموشحات ماهي الا اداة الا اللغة العربية التي تنظم بها الشعر مند العصر الجاهلي اما الخرجة التي كتبت بالعجمية تارة بالعامية تارة اخرى فهي تظرف استحسنه الوشاح لما في ذلك من متعة يتذوقها الناس [1]

ط - أغراض الموشحات :

أ- **الغزل :** متوفر بقوة في الموشحات لاتصاله بمجالس لأنس و الطرب ويمتزج في لغالب بوصف الخمر ووصف طبيعة **ومن ذلك قول ابن زهر :**

شمس قارنت بدرا * راح ونـــديـــم**

ادر اكـــؤس الخـمـــــر

عــنبــريــة انــشـر

ان الروض من ذو البشر

وقـد درع النـــهـرا * هبوب النـسـيـم** [2]

وسلت على الافـق

يد الغرب والشرق

سيوفا من البرق

وقد اضحك الزهرا * بكـــاء الغيـوم**

الا ان ليس مولي

1- محمد عباسة "لموشحات ولأزجال لأندلسية واثرها في شعر التر بادو "ص(82،83 ،84).

2- المرجع نفسه ،ص(85 ،86).

تحـكـم فاستولى

اما انه لـــولا

دموع تفضح السرا * لكنـــت كتـــــوم**

في هذا لموشحة مزج الوشاح بين الخمر والوصف والغزل .

ب-الخمـريـــات : نظم الوشاحون في الخمريات وجاء وصفهم للخمرة ومجالس للشرب وصف يجعل نتصور ان هذا الشراب مباح في مجتمعهم هذا وبما لاختلاطهم بالنصارى وولعهم بأم الخبائث .

واما النماذج التي بنيت اصلا على هذا الغرض قليلة ومنها موشحة **ابن بقي الطليطلي التي تقول في مستهلها :**

أدر لنـــا أكـــواب * يُنسـى بهـا الوجد**

واستصحبِ الجلاس،* كمـا اقتضى العهــدُ**[1]

ج- وصف الطبيعة : لقد فتنت لطبيعة الاندلسية الساحرة شعراء الاندلس والهدتهم صورا حية كأنها ملموسة ،فوصفوا بذلك الناطق والجاد .

ومن النماذج التي اتت على هذا النحو عدد من الموشحات ومنها موشحة **ابي الحسين بن مسلمة** في وصف وادي مالقه ، وايضا موشحة **ابي الحسين بن مهلهل الجياني** التي يصف فيها كيف تتوشح جيان بنهرها واشجارها وروضها ونسيمها وطيرها ، يقول :

النَّهْرُ سَلَّ حُسَامَا * عَلَى قُدُودِ الغُصُونْ**

وَلِلنَّسِيـــــمِ مَجَـــــالْ

وَالـــرَّوْضُ فِيهِ اخْتِيَـالْ

الـــدور مُدَّتْ عَلَيْهِ ظِـلالْ

وَالزَّهْرُ شَقَّ كِمَامَا * وَجْدًا بِتِلْكَ اللُّحُونْ**

أما تـرى الطيرَ صـــاحا.

والصبحَ في الأُفْق لاحـــا.

والزهرَ في الروض فاحا

2- محمد عباسة "لموشحات ولأزجال لأندلسية واثرها في شعر التر بادو ،ص(86،91،90).

وَالبَرْقَ سَاقَ الغَمَامَا * تَبْكِي بِدَمْعٍ هَتُونْ**

تبدو هذه الموشحة بمعان بسيطة ، فالموشح الاندلسي تعمد اللجوء الى اثارة العواطف بعبارات سهلة تعتريها ايقاعات منسجمة.[1]

د)-المـــــــــدح : اخذ فن المديح حيزا معتبرا في الموشحات الاندلسية لكنه جاء مندمجا في اغلب الاحيان مع اغراض الغزل و الوصف و الخمر ، واما ما جاء مستقلا فهو قليل جدا . وقد توسع الوشاحون في غرض المدح اذ تطرقوا الى **وصف المخدوع و غزواته وقصره وجنانه . يقول ابو عامر بن ينق في موشحة المدح :**

سِراجُ عَدْلِك يُزْهِــرْ * قـــد عَمَّ كُلَّ الْعِبــادِ.**

ونُــورُ وَجْهِك يَنْهَـر* سَنـاه لِلْخَلـْقِ بـــادِ.**

أنت العـزيـــز الابـي * والملك ملك الأنـــام**

انــت السراج الوصـي* والبدر بدر التمــام**

ومن الموشحات التي امتدحت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم نجد موشحة " ابن زمرك " الذي اشتهر بمولدياته أحيا فيها ذكرى مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول في اخرها :

يا مصطفى والخلق رهن العدم * والكون لم يفتق كمام الوجود**

مزيـــة أعطيتـــها في القـــدم * بهـــا على كــل نبــي تسود**

مولــــدك المرقـــوم لما نجـــم ***أنجـــز لــلأمة وعد السعود

ناديت لو يسمح لي بالجواب* شهـــر ربيع يا ربيع القلــوب**[2]

أطلعت للهدي بغير احتجـاب * شمسا ولكن ما لها من غروب**

رغم بساطة الفاظ هذه الموشحة ، فإنها تكاد تخلو من التكلف والتصنع على خلاف الموشحات المدحية التي تلجا الى ذلك في الغالب .

هـ -الرثـــــــاء : نظموا في هذا الغرض للتعبير عن احزانهم و ماسهم ، وفي هذا يعد **" إبن اللبانة "** من اشهر وشاحي الرثاء حيث رثى زوال ملك **بني عباد** يقول :

1- محمد عباسة :" الموشحات والازجال الاندلسية ، واثرها في شعر التروبادو" ، ص(92، 93، 94).

2- المرجع نفسه " ص (94، 95، 96)

طل النجيع وفل الأسر * غــــرب مهنـــد**

وكان من متضاه الدهـر * ومـــــا تقلـــــد**

حيث خص في هذا الرثاء المعتمد الذي سجنه امير المرابطين **يوسف بن تاشفين** .

و-الهجــــــــاء : لجأوا اليه للسخرية من خصومهم وعرض مساوئهم ،ومن ابرع الشاحين في هذا الميدان **أبو الحسن علي بن حزمون** ، ومن ذلك قوله في القاضي **القسطلي في مستهلها :**

تَخُـــونـُكَ العَيْنَـــانْ * يَا أيُّهَـــا القَاضِي فَتَظْلِمْ**

لا تَعْــرِفُ الأشْهَـــادْ * وَلا الذِي يُسَطِّرْ وَيُرْسَـمْ** [1]

فعلا ، لقد برع الوشاحون الاندلسيون في نظم قصائد بأغراض متنوعة كالتي عرفها الشعر العربي التقليدي ، وهذا النوع من الشعر المستحدث.

2)-الأزجال :

أ- لغة :زجل :زجل يزجل زجلا :رشق ورسي ،دفع ،طعن ،طرب وتغنى ،ضجي، **الزاجل والزاجل :ج، زواجل** :قائد العسكر ،

زجول : بعيدة ،**الزجل** :نوع محدث من الشعر ،الزجلة ،:لضجيج [2]

ز ج ل (الزجل) بفتحتين :الصوت ،يقال سحاب (الزجل) .

أي :ذو رعد .[3]

ز ج ل : (للملائكة زجل بالتسبيح)وزجلة بالحرية وزجه بها :رماة وخرج الأمير و بين يديه الرجالة و الزجالة ،ولعن الله أما زجلت به و نجلت ،وزجل الحمام الهادي :أرسله زجلا .[4]

2- محمد عباسة :" الموشحات والازجال الاندلسية ، واثرها في شعر التروبادو": ص (103،101 ، 104).

3- ابراهيم قلاتي ،"الهدى " :قاموس عربي ،دار الهدى ،الجزائر ،ص (183).

4- الرازي :"مختار الصحاح" ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،ط1 ،ص1979 ص(269).

1- الزمخشري :"أساس البلاغة :دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ،الجزائر ص (281).

ب-الزجل في الاصطلاح :ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الاعراب والقافية ،كما عن الموشح من حيث الاعراب و لا يختلف عنه من جانب القافية الا نادرا ،يعد الزجل بهذه الصورة موشحا ملحونا الا أنه ليس من الشعر الملحون ،و قد كتب بلغة ليست عامية بحته ،بل هي مهذبة وان كانت غير معربة .

ج-عوامل ظهور الزجل :

يمثل الزجل الفن الثاني المستحدث في الأندلس بعد الموشح وقد تباينت أراء المؤرخين القدامى في نشأة هذا الفن و لو أنهم يتغفون على أنه وليد البيئة الأندلسية و منها خرج الى الأراضي المغربية و المشرقية و انتشر فيها و أول من درس فن الزجل من القدامى حسبما وصل الينا من مصادر "صفي الدين الحلي" **في كتابه :"العاطل الحالي و المرخص الغالي "** الذي درس فيه اسهاب فن الزجل ،كما تطرق الى بعض الفنون **الأخرى كالمواليا ،والكان و كان و القوما .**

أما المصادر الأندلسية ،فلم يصل الينا منها شيء ذو أهمية عن نشأة الزجل و طريقة نظمه وخصائصه الفنية و يبقى **ديوان "ابي بكر بن قزمان" الى جانب ديواني " أبو الحسن الشستري" و"أبي مدين شعيب"** من أهم المصادر التي تتيح لنا دراسة الأزجال الأندلسية ومعرفة خصائصها الفنية و اتجاهاتها في ذلك العصر .

أما المحدثون فالاختلاف عندهم حول مصادر لزجل يكمن في علاقة الزجل بالموشح والأغاني الشعبية و منهم من يذهب الى أن الزجل نشأة اصطناعية تقليدا للموشح و منهم من يرى أن أصل الزجل الأندلسي يرجع الى الأغنية الشعبية التي تمزج بين اللفظ العامي والعجمي .[1]

و يعتقد شوقي ضيف أن الزجل قد نشأ مع الموشح مباشرة و ربما سبقه و هو يتبنى من خلال هذا الرأي ما ذهب اليه بعض المستشرقين بقوله **:"ويمكن أن نقول انهما جميعا فن واحد ذو شعبتين ،شعبة تغلب عليها الفصاحة وشعبة تغلب عليها العجمة."**[2]

1- محمد عباسة ،"الموشحات و الأزجال الأندلسية و أثرها في شعر تروبادور" ص (106، 107).

2- عبد العزيز عتيق :" الأدب العربي في الأندلس" ، ص (390) .

ولعل مما ساعد على نشأة الزجل في الأندلس ما كان من شيوع الموشحات بين الناس ،وقد اتفق **مؤرخو الأدب الأندلسي على أن الموشح أسبق من الزجل ، ومنهم العلامة ،"ابن خلدون" وهو مؤرخ ثبت** حيث قال **:"ولما شاع التوشيح في أهل الأندلس و أخذ به الجمهور لسلالته و تنميق كلامه و تصريع أجزائه نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله و نظموا في طريقته لغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه على مناحيهم لهذا العهد فجاؤوا فيه بالغرائب ،واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة ."**

ويتضح من كلام ابن خلدون أن الزجل الاندلسي نشأ تقليدا للموشح .[1]

د- مخترع الزجل :

اتفق الدارسون علة أن مخترعه أهل الأندلس ،وقيل سموه بالزجل لأنه لا يلت ذبه و يفهم تنغيمه .[2]

و اختلف القدامى فيمن نظم الزجل لأول مرة في الأندلس ،و ذلك لعد وجود النصوص الأولى بين أيديهم ،فصبوا جل اهتماماتهم على "ابن قزمان" و ذكر غرائب أزجاله .[3]

يقول ابن خلدون في مقدمته : (وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان و ان كانت قيلت قبلت بالأندلس ولكن لم تظهر حلاها ،ولا انسكبت معانيها ،واشتهرت رشاقتها الا في زمانه وكان لعهد الملثمين و هو امام الزجالين في عصرنا يقول : ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة .)[4]

فمن هذين الخبرين نخرج بحقيقتين :الأولى أن أبا بكر قزمان الذي عاش في عصر المرابطين بالأندلس هو من أبدع في فن الزجل و الثانية أنه قيل بالأندلس قبل زمنه .

2- ابن خلدون "المقدمة" حققها و قدم لها وعلق عليها :عبد السلام الشدادي بيت الفنون و العلوم والآداب ، الجزائر 2006 ج3 ص(328) .

3- حسين نصار :"الشعر الشعبي العربي " منشورات اقرأ بيروت ،لبنان ط2 ،1980، ص (113).

4- محمد عباسة :" الموشحات و الأزجال الأندلسية و أثرها في شعر التروبادور " ص(114).

5- ابن خلدون :"المقدمة" المجلد 1 ، ص (618).

و من ذلك كله يتضح أن هناك من شعراء الأندلس من تقدموا **أبا بكر بن قزمان** وحاولوا الزجل قبله ،وان كانوا لم يبلغوا فيه مبلغه أو يجيدوه اجادته ،ويمكن القول بأن الزجل الذي نبت في بيئة الأندلس نوعان : **زجل العامة ،وزجل الشعراء المعربين .**

أما زجل العامة أو شعر العامة ،فيتمثل في الأغنية الشعبية العامية النابعة من نفسياتهم وحالتهم العقلية و أراءهم الاجتماعية وأذابهم و أخلاقهم.

وأما زجل الشعراء المعربين فيبدوا أنه جاء تاليا في النشأة الزجل العامة ولعل الشعراء الذين حاولوا هذا النوع من الزجل قبل عصر ابن قزمان كانوا مدفوعين اليه بالرغبة في أن تنتشر أزجالهم المصطنعة بين الطبقات المثقفة كنوع من الطرافة يتغنون بها .

مر الزجل في تطوره بدورين :دور الأغنية الشعبية التي أثرت الى حد ما ببعض أشكال الموشحات و التي أطلق عليها الزجل العامي ودور زجل الشعراء المعربين الذين ظهروا في القرن الخامس .

أما الدور الثالث فهو دور زجالي القرن السادس الذي شهد نهاية عصر ملوك الطوائف و بداية عصر المرابطين في الأندلس و لما كان ملوك المرابطين لا يتقنون اللغة العربية شاع الزجل وازدهر في هذا القرن .

ومن زجالي القرن السادس الذين ذكرهم **:"عيسى البليدي و أبو عمرو بن زاهد الاشبيلي وأبو حسن المقري الداني وأبو بكر بن قزمان** امام الزجالين على الاطلاق .

و في منتصف القرن السادس توفي امام الزجالين أبو بكر بن قزمان وزالت من الأندلس دولة المرابطين التي عاصرها ،وحلت محلها ،دولة الموحدين ،و كان عصرها بداية **الدور الرابع و أدوار الزجل** حيث دخل في هذا العصر **الزجال "أحمد بن الحاج " المعروف باسم "مد غليس"** [1]

و قد ذكر **المقري في كتابه :نفخ الطيب و قال عنه :"كان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الأزجال ،خليفة ابن قزمان في زمانه ،و كان أهل الأندلس يقولون :ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ،ومدغليس هذا مشهورا بالانطباع**

1- عبد العزيز عتيق :" الأدب العربي في الأندلس" ، ص (396،397،398).

والصنعة في الأزجال خليفة ابن قزمان في زمانه ،وكان أهل الأندلس يقولون :ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ،ومدغليس بمنزلة أبي تمام ،بالنظر الى الانطباع والصناعة ،فابن قزمان ،ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجبت و اقتصر عليه ".

و في الدور الرابع من أدوار تطور الزجل ، والذي امتد الى المائة السابعة ظهر بالإضافة الى مدغليس زجالون أخرون منهم :**ابن الزيان و "ابن جحدر الاشبيلي"**

والدور الخامس و الأخير في تطور الزجل الأندلسي يقع في المائة الثامنة وقد عرض ابن خلدون في مقدمته الى زجالي هذه المائة بإيجاز ،وعد منهم الى عصره صاحبه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب ،ثم ذكر من محاسن ازجاله ثلاث مقطوعات قصيرة في الخمر و التصوف ،ومنها على طريقته الصوفية التي نحا فيها **منحنى السشتري** قوله :

طلوع وبين نزول * اختلطــت الغــزول**

و محنى من لم يكن * وبقي من لم يزول .**

ثم يتابع **"ابن خلدون"** كلامه على الزجل الأندلسي قائلا:(**وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العامة بالأندلس من الشعر وفيها نظمهم ،حتى انهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر ،لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر الزجيلي ،مثل قول شاعرهم :**

دهر لي نعشق جفونك وسنـين * وأنت لا شفـــقة ولا قلب يلـيـــن**

حتــى ترى قلبي من أجلك كيف * رجع صنعة السمكة بين الحدادين**

الدمـوع ترشرش والنار تلتهب * والمطارق من شمـــال ويمـــين**

خلــق الله النصـــارى للغـــزو * وأنت تغـزو قلـــوب العاشقـــين**[1]

هـ - بنـــاء الـزجل :

يبدو من خلال أزجال ابن قزمان أن الزجالة :فقد تحدث الامام عن المركز و الخرجة والمطلع والبيت ،وهي المصطلحات التي ذكرها الوشاحون ،وهذا الدليل أخر على أن الزجل تفرع من الموشح واستعار منه أقسامه ومصطلحاته ،

- لقد تعود ابن قزمان على ختم أزجاله بذكر عدد أجزائها وتسميتها فمن ذلك قوله في المقطوعة الأخيرة من زجل له :

1 - عبد العزيز عتيق : "الأدب العربي في الأندلس "ص(398 ،399،401،402).

أي زجل عملت يا قومّ * فتن من نظر و سمع .**

وأنـــا مطبـــوع ولكـــنّ* لم نقــل زجــل بطــبع .**

عشر أبيات في شطـــاطّ*و ثـــلاث أقسام في وسع .**

فثلطـــعـــشر هـــي ذابّ* عـــدة الأبيات والأقسام .[1]**

يتكون هذا الزجل من **عشرة أبيات بالإضافة الى الأقفال ،وكل بيت يتركب من ثلاثة أجزاء مركبة من فقرتين ،وقد سمى أبوبكر بن قزمان أجزاء الزجل أقساما .**

و في زجل أخر يقول ابن قزمان في الختام :

من تسع أبيات هي أزجال لس فيها طول

لسنه ذا مما يعجزني شيئا نقول .

و كن نزيدك بويتـــات عاد لولا الفضول .

لم قط نقل بيت ولا منقال إلا ارتجال .

هذا الزجل ورد في الديوان **بثمانية أبيات** ،وقد ضاع البيت التاسع منه ويعتقد أن يكون البيت المبتور من **وسط القطعة لأن البيت الأول يوحي بأنه مطلع الزجل** .وفي هذا الزجل نلاحظ لفظة جديدة وهي **المنقال** قصد بها ابن قزمان **القفل** ،لأنها من النقل أو ما يتكرر على المنوال نفسه والذي يتكرر هو **القفل** .

و في موضع أخر يسمى الامام ابن قزمان البيت بلفظة سطر ،كقوله في هذه الخرجة :

فكذلك لس ثم الزجال * أن يقل ذا التسعة أسطار .**

و هذه الخرجة من زجل يتألف من تسعة أبيات .

والتشابه الكبير بين الموشح والزجل عند القدامى مصطلحات التوشيح قاسما مشتركا بين الفنين ،وهذا زجل لابن قزمان من أبسط طرائق نظم الأزجال **يقــول :**

لس نقيق من ذا الصدود أبدا .

أو نعنق في ذراعي الحبيب

بي نكد بليت أنا وي عذاب .

الوصال يا قد نسي بالعتاب .

1- محمد عباسة :" الموشحات و الأزجال الأندلسية و أثرها في شعر التروبادور " ص(114).

قد نحل جسمي ورق وذاب .

ورجعت أرق من خيط ردا .[1]

و - أوزان الزجــل :

لما كان الموشح و هو من الشعر الفصيح سببا في ظهور الزجل ،فمن الطبيعي أن تكون أوزان الزجل من أوزان الشعر العربي ،لكن ليس كل أوزان الزجل هي من بحور الخليل ،فمنها ما يوافق الأوزان الخليلية و منها ما هو فرع منها و هو الغالب في الأزجال الأندلسية ،و بما أن أكثر الأوزان الزجلية متفرعة من العروض العربي فهي لذلك عربية خالصة ولا تخالفها في شيء الا ما جاء على النبر وهذه الطريقة تغلب على الشعر الملحون .

ز- لــغة الزجــل :

مر الزجل الأندلس بأطوار لغوية مختلفة :فكان الطور الأول اللغة الفصحى غير المعربة وكان الزجل في ذلك الوقت من اختصاص الطبقات المثقفة التي نسجته على منوال الموشحات ،ثم بدأت تتسرب اليه عناصر اللهجة الأندلسية حسبما تقتاضيه ضرورة الوزن والغناء عند أهل الأندلس و مع ذلك لم يستطع الزجالون الأولون التخلص من الاعراب الى أن جاء أبو بكر بن قزمان الذي مهد الطريق في ديوانه الى العناصر اللغوية العامية التي غزت اللغة الرفيعة في الزجل **حيث قال :"وجردته من الاعراب ،وعربته من التحالي و الاصطلاحات تجريد السيف عن القراب "**[2]

ح- موضوعات الزجل :

الزجل الأندلسي مثله مثل الموشحات من حيث تناوله لموضوعات الشعر التي تناولها القصيدة المعربة والذي يتصفح ما وصل الينا من أزجال الأندلسيين يرى أنهم قالو في الغزل ،والمدح والوصف والخمريات وفي ذلك من فنون الشعر التقليدية:

أ) **الغـزل** : من النماذج التي بنيت على الغزل وحده ،زجل لابن قزمان يقول فيه :

1- محمد عباسة :" الموشحات و الأزجال الأندلسية و أثرها في شعر التروبادور " ص(121).

2- محمد عباسة :" الموشحات و الأزجال الأندلسية و أثرها في شعر التروبادور "ص(128،129،131).

هجرن حبيبي هجر* وأنا لس لي بعد صبر .**

لس حبيبي الا ودود * قطع لي قميص من صدود .**

وخاط بنقض العهود * وحبب الي السهر .**

كان الكستبان من شجونˇ* والابر من سهام الجفون .**

من الأزجال التي يمتزج فيها موضوع الغزل بوصف الخمر والتعلق به زجل لأبي بكر الحصار يقول :

الذي يعشق مليحˇ* والذي يشرب عتيق .**

المليح أبيض سمينˇ* والشراب أصفر رقيق .**

لا شراب الا قديمˇ* لا مليح الا وصول .**

اذ تقول روحك يزيد * لش تخالف ما تقول ؟**

والدنان لكل يومˇ* لا ملول و لا بخيل .**

من زياره بعد قدˇ* رجع بحل صديق .**[1]

ب) -المــدح : يأتي المدح في الأزجال ممتزجا بكثرة بموضوع أخر كأن ينظم الزجال قصيدته يبدأ فيها بمقدمة غزلية ثم يأتي المدح بعدها ،

ومن الأزجال التي بنيت على المدح وحده زجل لابن قزمان يمدح فيه القاضي ابن الحاج ،ويرسم له ولمجلسه فيه صورة واقعية بعيدة عن المبالغة يقول ،

وصل المظلوم لحق وانتصف غني و مسكين

يحضر الانكار و الاقرار ويقع الفصل في الحين .

اجتمع فيه ثلاثة :الورع و العلم والدين .

فيزول الحق اذا زال ويدوم الحق اذا دام .

ج) وصف الطبيعة الناضرة : وفي هذا الغرض زجل رقيق لمدغليس يموج بالحركة والأصوات والعبير و الألوان و من قوله :

ثلاث أشياء في البساتين * لس تجد في كل موضع .**

النسيم والخضر و الطيرˇ* شم واتنزه و اسمع .**

1- عبد العزيز عتيق : "الأدب العربي في الأندلس "ص(404،403،402).

قم ترى النسيم يولول* والطيور علة تغرد .**

والثمار تنثر جواهر* في بساط من الزمرد .**

و يوسط المرج الأخضر* سقي كالسيف المجرد .**

شبهت بالسيف لما* شفيت الغدير مدرع .** [1]

د) الخمريـــات : لقد كان الأندلسيون يشربون الخمر في مجالس الأنس واللهو كما كانوا يشربونها في الديموس ،أي الحانة وكثيرا ما كان الامام ابن قزمان يتردد عليها رفقة أصحابه ليبذر ما بقي له من مثاقيل أي الدراهم الأندلسية و من الأزجال الأندلسية التي بنيت على الخمر وحده زجل لأبي بكر ين صارم الاشبيلي يقول منه :

و مذهبي فالشراب القديم

و سكرا من هو المني و النعيم .

ولس لي صاحب ولألي نديم .

فقدت أعيان كبار .

واخلطن مع ذا العيار .

الزمن .[2]

هـ - الأغراض الدينية و الصوفية : وظف **الحسن السشتري** الزجل أيضا في مدح **الرسول صلى الله عليه و سلم** ،وكأن أول من دخل التصوف يقول :

الله ،الله ،هاموا الرجال * في حب الحبيب .**

الله ، الله ،معي حاضر* في قلبي قريب .**

أدلل يا قلبي وافرح حبيبك حضر

واتنعم بذكر مولاك وقصي الأثر .

و اتهنى وعش مدلل بين البشر

دعوني نذكر حبيبي* بذكر و نطيب .**

لله ، الله ،معي حاضر* في قلبي قريب .**[1]

2- المرجع نفسه ، "ص(405،406).

1- محمد عباسة :"الموشحات و الأزجال الأندلسية ، وأثرها في شعر التروبادور "ص(140،141).

فاذا كان الشعراء غالبا ما يشكون من بعد الحبيب وهجره ،فان السشتري في هذا الزجل يبدي سروره لحضور حبيبه ،وهو الحبيب ،الذي يغيب .

و- الرثاء : أما الرثاء فانه قليل في الأزجال ، ومع ذلك فان الزجالة لم يكتفوا برثاء الأشخاص بل رثوا أيضا البلدان التي خزنوا لخرابها .

و من هذا الغرض **زجل لأبي بكر بن قزمان** رثى فيه **أبو القاسم بن حمدين قاضي قرطبة يقول في مستهلة :**

البكا واجب وصبرنا أنفع .

أن من قد مات لم يمض ليرجع .

انما معذور فمعذور وزايد .

كل أحد بالله يفزع للشدايد . [2]

من خلال ما سبق ذكره في ما استحدثه الأندلسيون من موشحات و أزجال ، يتبين لنا أن هذه البيئة أنتجت أدبا راقيا انفردوا به واختصوا في نظمه كما و كيفا ، فكانت الموشحات والأزجال فنا لصيقاً بالأندلس وسكانها ،وميزة ثقافية وأدبية راقية خلدها لهم التاريخ العربي والانساني .

2- المرجع نفسه ص(151).

1- محمد عباسة :"الموشحات و الأزجال الأندلسية ، وأثرها في شعر التروبادور" ص(156،157).

3)- رثاء المدن والممالك

حذا الاندلسيون حذو المشارقة وقلدوهم في معظم الاغراض الشعرية ، ومنها الرثاء فلقد توسعوا فيه ، فلم يقفوا عند رثاء موتاهم ، وانما ذهبوا في قصائدهم الى حد رثاء مدنهم التي اخذت تتهاوى الواحدة تلوى الاخرى بسبب غلبة اعدائهم من النصارى الذين عادوا للاستحواذ على بلاد الاندلس ، فبكوها وبلغ الالم واشتدت الحسرة على مشاهد الخراب والدمار .

وسمي ايضا **شعر النكبات** ، شعر السقوط المدائن الاندلس ، وقد قال شعراء الاندلس واكثر القول في رثاء مدنهم ودولتهم حتى صار **رثاء المدن والممالك** فنا شعريا قائما بذاته في ادبهم ، ربما نجد في ادب المشارقة شيئا من هذا القبيل **كقصيدة ابن الرومي** التي رثى فيها مدينة البصرة ، عندما اغار عليها **الزنج سنة 255 هجري** ، واستباحوا فيها الاموال والحرمات والاغراض والتي يقول فيها :

ذاد عن مقلتي لذيذ المنـــــام * شغلها عنه بالدمع السجـــــام**

أي **نوم من بعد ما حل بالبصـ *** ـرة ما حل من هنات عظـــام**

اي **نوم من بعد ما انتهك الزنـ *** ـج جهارا محارم الاســـلام**

كم رضيع هناك قد فطمـــوه * بشبا السيف قبل حين الفطـــام** [1]

لعل من الدوافع التي جعلت شعراء الاندلس ينظمون هذا الفن يعود بالدراجة الاولى الى قضية حب الوطن والحنين اليه ، فانتقل عندهم من عاطفة بسيطة يشعر بها الانسان ، قوامها الحنين الى مسقط الراس ، الى عاطفة اعمق واشمل تخلف نوعا من الولاء في النفس ، فحماسة الاندلسيين كانت في الغالب لمسقط الراس اكثر منه حماسة للأندلس بصورة عامة .

واقل ما يوصف فيه هذا الشعر انه اقليمي النزعة . لم تكن النزعة الوطنية ظاهرة في الشعر الاندلس الا في حالات نادرة اكثرها يعود الى تحدي الغربة والنفي ، عندما كان الشاعر الاندلسي يجد نفسه خارج حدود الوطن فيشتغل حنينه الى كل جزء من الاندلس .

1-عبد العزيز عتيق : " الادب العربي في الاندلس " ، ص(319 ، 320)

نلمس ذلك عند "**ابن خفاجة** " وقد اضطرته ظروف بلدة " **بلنسية** " للنزوح عنها فاندمجت مأساته بمأساة الوطن واتسمت عاطفته بالشمول حاضنة الأندلس **بقوله :**

انما الجنة بالأندلـــــــس * مجتلى حسن وريا نفـــــس**

فسنا صبحتها من شنـــــب * ودجى ليلتها من لعــــــس**

واذا ما هبت الريح صبـــا * صحت : واشواقي الى الاندلس**

واكثر ما يظهر الوطن في شعر الهزيمة على صورة ضحية للقدر ، وعبث للزمان ، فالدهر يتلهى بمصائر المدن والممالك . **يقول ابو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بعد ان مر ببلدية سهيل ، وقد اتى عليها العدو :**

يا دار ما فعلت بك الايـــام * ضامتك والايام ليس تضـــام**

يقول ابن خفاجة يصور بلدة" بلنسية " اكثر صخبا وشد اضطرابا :

عاثتْ بسَاحَتكِ الظُّبا يا دارُ* ومَحَا مَحَاسِنَكِ البلَى والنارُ**

أَرْضٌ تَقَاذَفَتْ الخُطُوبُ بأَهْلِهَا* وَتَمَخَّضَتْ بخَرَابهَا الأَقْدَارُ**

كتبت يدُ الحدثانِ في عَرصاتِها* لا أنتِ أنت ولا الديـارُ ديارُ**

والملاحظ في شعر الهزيمة بشكل عام انه شديد الاحتفال بسطو القدر ، وكان لا تشغل لديه الا بالإيقاع بالمدن **كقول ابي موسى هارون بن هارون الاشبيلي وقد جاء اشبيلية في الهزيمة :**

يا حمص أقصدك المقدور حين رمى * لم يرع فيك الردى الاّ و لا ذمما**

جرت عليك يد للدهر ظالمة * لا يعدل الدهر في شيء إذا حكما**

ويقول ابو البقاء الرندي :

و هذه الدار لا تُبقي على أحد، * و لا يدوم على حالٍ لها شانُ**[1]

ويقول الوزير ابو بكر محمد بن عيسى المعروف **بابن اللبانة** في قصيدة طويلة جدا يرثي بها بني عباد و مملكتهم :

تَبْكِي السَّمَاءُ بِدَمْعٍ رَائِحٍ غَادِي * عَلَى البَهَالِيلِ مِنْ أَبْنَاءِ عَبَّادِ**
عَلَى الْجِبَالِ الَّتِي هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا ***وَكَانَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ذَاتَ أَوْتَادِ
يَا ضَيْفُ أَقْفَرَ بَيْتُ الْمَكْرُمَاتِ فَخُذْ * فِي ضَمِّ رَحْلِكَ وَاجْمَعْ فَضْلَةَ الزَّادِ**

1- يوسف عيد : " الشعر الاندلسي وصدى النكبات " ، (17،18،19).

ويقول : تفرقوا جيزة من بعد ما نشئـــــوا* اهلا باهل واولادا بــــــــــأولاد**

كَمْ سَالَ فِي الْمَاءِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ* تِلْكَ الْقَطَائِعُ مِنْ قِطْعَاتِ أَكْبَادِ.**

ولعل نونية **ابي البقاء الرندي** هي اروع واشجى ما جادت به قريحة شاعر اندلسي ، لا في رثاء مدينة بعينها ، بل في رثاء الاندلس كل الاندلس ، وتصوير نكبته التي تعدو على فجائع الدهر ، فهو يتحدث بلسان كل الاندلسيين ، ويشعر بمشاعرهم ، فكل بيت فيها يطالعنا صورا بالعاطفة ، مشحونا بالاسى ، مبللا بالدموع ، تفجعا على ما ال اليه حال الاسلام والمسلمين بالأندلس

يقول في مرثيته الشاكية الباكية :

لِكُلِّ شَـيءٍ إذا مـا تَمّ نُقصانُ * فَـلا يُـغَرَّ بِـطِيبِ الْعَيْشِ إنسانُ**

هِـيَ الأُمُـورُ كَما شاهَدْتَهَا دُوَلٌ * مَـنْ سَـرَّهُ زَمَـنٌ سَـاءَتْهُ أَزْمَانُ**

ويقول :

وَهَـذِهِ الـدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ * وَلا يَـدُومُ عَـلَى حَالٍ لَـهَا شَانُ**

فجائعُ الدهر أنواعٌ مُنوَّعة،* وللزمان مسرّاتٌ وأحزانُ**

ويقول بعد ابيات :

أَصابَها العينُ في الإِسلامِ فِارتزَأت * حَتّى خَلَت مِنهُ أَقطارٌ وَبُلدانُ**

فِاسأل بَلَنسِيةً مـــا شَأنُ مرسِيَــــةٍ * وَأَينَ شاطِبة أَم أَينَ جيّـــانُ ؟**

وَأيـــن قُرطُبة دارُ العُلُومِ فَكـــــم * مِن عالِمٍ قَد سَما فِيها لَهُ شانُ ؟**

وَأينَ حمص وَما تَحوِيهِ مِن نُـــزَهٍ * وَنَـهرُها العَذبُ فَيّاضٌ وَمَلآنُ ؟**

قَواعد كُنَّ أَركـــانَ البِـــلادِ فَمــا * عَسى البَقاءُ إِذا لَم تَبقَ أَركانُ ؟**

تَبكِي الحَنيفِيَّةُ البَيضَاءُ مِن أَسَــفٍ * كَما بَكى لِفِراقِ الإِلفِ هَيمَانُ**

عَلى دِيارٍ منَ الإِســـلامِ خالِيـــَةٍ * قَد أَقفَرَت وَلَـها بالكُفرِ عُمرانُ**

حَيثُ المَساجِدُ قَد صارَت كَنائِس ما * فيهِنَّ إِلّا نَواقِيسٌ وصلبانُ**

حَتّى المَحاريبُ تَبكي وَهيَ جامِدَةٌ * حَتّى المَنابِرُ تَبكي وَهيَ عيدَانُ** [1]

1-عبد العزيز عتيق "لادب العربي في الاندلس "ص(325،326،327).

فعلا لقد انفرد شعراء الاندلس بهذا النوع من الرثاء والمتمثل في رثاء مدنهم وممااليكهم ،فلقد غلب في قصائدهم الاسى العميق على ضياع ديارهم الجميلة .

الفصل الثالث

❖ الفصل الثالث: الجانب التطبيقي: أثر الموشحات والأزجال الأندلسية في شعر التروبادور

1)- البناء الشعري

أ- نظـــــام القافيـــة

ب- بناء القصيـــدة

2)- الموضوعات الغزلية

أ- الحب المــــؤنس

ب- الحبيبة المجهولة

3)- خصائص شعر الغزل

أ- الوفاء والتضحية

ب- شكوى الفتـــاة

1- البنـــــــاء الشعـــــري :

كان للموشحات والازجال التي احدثها الاندلسيون وقع على نظرائهم من شعراء التروبادور الذين نظموا قصائدهم على الطريقة الاندلسية ، حيث حذوا حذوهم وتجلى ذلك عندهم وظهر تاثرا بالوشاحين والزاجلين الدين عاصرهم وهذا من خلال الاحتكاك المباشر بينهما .

أ)- نظام القافية

لم يعرف الشعر الاوربي **نظام القافية** الا بعد مطلع القرن الثاني عشر الميلادي على يد الشعراء التروبادور **(Trobadours)** اذ لم ترد القافية في الشعر اللاتيني والاغريقي ، وان **"اوفيديوس" (ovide)** الذي يعتقد الاوربيون ان التروبادور البروفنسيين قد تاثروا بافكاره في حبهم الكورتوازي**(Amour courtois)** ، لم نجد في كل كتبه ولو قصيدة واحدة مقفاة على الاقل.

ان رواد الادب الروماني وعلى راسهم **هوراس (horace)** لم يهتموا بالقافية في شعرهم ، شانهم في ذلك شان الشعراء الاغريق .

يعد **غيوم التاسع كونت بواتية ودوقاكيتانيا السابع (Guillaumeix)** اول شاعر من جنوب فرنسا ادخل نظام القافية بكل انواعها الى الشعر الاوربي ، وبما ان **الشعر العربي عرف القافية قبل غيره من اشعار الامم الاخرى.** [1]

فان نظام القافية في الشعر الاوربي قد استورد من العرب ، وكطان غيوم التاسع اول من نظم القافية الموحدة التي اشتهر بها الشعر العربي ، وذلك في ثلاث قصائد من ديوانه .

طرق الشعراء **البروفسيون** الشعر المصرع في الكثير من قصائدهم ، وهذا النوع من النظم نجده عند العرب منذ العصر الجاهلي ، لقد نظم التروبادور برنار مارتي **(Bernart Marti)** قصيدة من اللون :

Faraiun vers abson novelh
Evuelh m en atotz querelar
Qu a penas trobi qui m apelh
Ni sol midenhe l uelhvirar

1- محمد عباسة ،الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور "ص(265،266).

Trobad m an nesci efadelh
Qua r no sai laver ajustar

وترجمتها :

سأنظم اغنية بايـقاع جديد
واريد ان الوم فيها جميع الناس
لا نني لم اجـــــد احد يكلمــني
او عـــــلى الاقل ينــظــر الي
لقد اعتقدوا اني ساـذج وغبي
لا نني فقير ولم اقدر على الغنى [1]

استخدم القافية (أب، أب ،أب) فجعل مصدر الابيات على قافية وعجزها على قافية اخرى ، وهذا النوع من الشعر يعد من الشعر التقليدي عند الشعراء العرب في المشرق والمغرب وهو من **الأراجيز** .

كما استعمل شعراء الاوكسيتانية التمسيط الشعري بكل انواعه ، ومنه المثلث الذي جاء عندهم بأشكال مختلفة ، كالقصيدة التي نظمها بياردوفرن (Piere d'auvergne) على القافية (اا ب، ج ج ب، س س ب)أولها :

Cantarai d aquestz trobadors
Que canton de maintasccolors
E l pieger cuida dirmout gen.
Mos a cantar loner alhors
Qu entrametre n vei cent pastors
Qu us non sap que s mont o s dissen

وترجمتها :

سأغني عن هؤلاء التروبادور
الذين ينظمون الاغاني من كل نوع

1- محمد عباسة :"الموشحات و الأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور" ص(266،267).

حتى الشاعر الرديء منهم يفتخر بشعره

لكن عليه ان يغني في مكان اخر

لانني ارى مائة راع يشتغلون مثلهم

ولا احد منهم يدري طبيعة صوته .[1]

هذه الاشكال الشعرية التي وردت عند التروبادور ، لم ترد في الشعر الاوربي الذي سبقهم ، وقد استخدم البروفنسيون ومن نظم بلغتهم القصائد المربعة والمخمسة وغيرها من الاشكال التي نجدها في المسمطات العربية والموشحات والازجال .

ب)- بناء القصيدة :

1- المطلع : في الشعر الاكسيتاني يستهل الشعراء قصائدهم بالمطلع مثلما يرد في الموشحات والازجال عند الاندلسيين ، وقد استخدم البروفنسيون مختلف الاشكال الاستهلالية من المطلع المتكون من شطر واحد الى المطلع المركب من اسطر .

لقد تطرق الشعراء البروفنسيون الى مختلف المطالع في قصائدهم ، الا ان هذه النماذج وردت عند الشعراء الاندلسيين في الموشحات والازجال قبل عصر التروبادور .

1- البيت : تسمى المقطوعة الواحدة من القصيدة عند التروبادور **بيتا** **(Vers)** وهي التسمية نفسها التي نجدها في الموشحات والازجال .

ترد الابيات في الشعر الاكسيتاني متفاوتة الاقسمة ، فمنها ما جاء مركبا من اربعة اسطر مع قفل من سطر واحد ، وهذا الشكل استخدمه الاندلسيون في الازجال . وقد استخدم البروفنسيون ايضا البيت مع القفل المتركب من شطرين .

كما نظم البروفنسيون البيت المتكون من خمسة اسطر مع قفل من شطر واحد ومنهم التروبادور **سركامون** **(Cercamon)** ، كما نظموا الاقفال المركبة من ثلاثة واربعة اسطر على غرار ما نجده في الشعر الاندلسي .[2]

1- محمد عباسة ،الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور "ص(267،268).

2- المرجع نفسه "ص(269).

3- **القفـــــل :** الاقفال عند الشعراء البروفنسين منها ما يكون عدد اسطره عدد اسطر المطلع نفسه ، ومنها ما يكون عدد اسطره نصف عدد اسطر المطلع .وكان **غيوم التاسع** اول شاعر اوربي استخدم الاقفال في الشعر الا انه احدث تغييرات طفيفة خرج بها قليلا عن النماذج الاندلسية .

فمن ذلك قصيدته التي رسم قافيتها (أ أ أ ، **ب ا ب)** ومن خلالها نلاحظ ان غيوم التاسع قد احدث بعض التغيير على القفل الاندلسي ، بان ادخل على القفل شطرا اخر على قافيته من قافية اشطر البيت . **والقفل يسمى** (Vuelta) عند شعراء التروبادور .

يعد التروبادور **غيوم التاسع** اول من ادخل الشكل المربع الى الشعر الاوكسيتاني لتاثره العميق بالازجال الاندلسية ، وهذا النوع يسمى **" الفجرية "** (Alba) ، يتجلى هذا في قصيدته الاخيرة المثبته في ديوانه والتي رسم قافيتها **(**أ أ أ ، **ج ج ج ب) .**

Pos de chantar m es prestalentz
Farai un vers don sui dolenz
Mais non serai obedienz
En peitau nien lemozi
Qu era m'en irai en eisil
En gran paor en gran peril
En guerra laissarai mon fil
E faranli mal siei vezi

و ترجمتهــــــا :

بما ان الرغبة تدفعني الى الغناء
سأنظم قصيدة في موضوع يحزنني
ابدا لن اكون خاضعا لسيدة
لا في بواتو و لا في ليموزي
سأرحل هكذا الى المنفى

بخوف شديد وخطر كبير [1]

الى الحرب ، وساترك ابني

لكنني اخشى من جيرانه عليه

وليس صدفة اذا وجدنا بعض الشعراء البروفنسيون المحدثين قد نظموا قصائد باللغة الاكسيتانية ذات اقفال باللغة اللاتينية ، لان هذه الطريقة اخترعها لأول مرة كما تعلم الموحشون الاندلسيون .

4-**الخرجـــة :** تعود الشعراء البروفنسيون على تدييل قصائدهم بقفل يسمى (**Finida**) بمعنى **الخرجة** . ظهرت الخرجة لأول مرة في الموشحات ثم في الازجال ولم يعرف الشعر الاوربي الخرجة قبل شعراء التروبادور الذين عاصروا اشهر الوشاحين والزاجلين الاندلسيين

ترد الخرجة في الشعر الاوكسيتاني عند التروبادور بأشكال مختلفة ، لكن اغلبها لم يخرج عن نطاق الشكل الاندلسي . حيث جاءت شطرا مفردا ومركبة ايضا من عدة اسطر ، وهذا هو الشائع عندهم ، فقد تكون مركبة من ثلاثة واربعة اشطر . غير ان البروفنسيين لم يكتفوا بخرجة واحدة ، فمنهم من نظم خرجتين متتاليتين من اخر القصيدة ، وهذا مالم نره عند الاندلسيين .

وكان **غيوم التاسع** اول من نظم القصيدة ذات الخرجتين . وان ختم البروفنسيين قصائدهم بالخرجات ليؤكد مدى تأثر هؤلاء الشعراء الاوربيين في نظمهم بالشعراء الاندلسيين من وشاحين و زجالين .[2]

يمكن القول مما سبق ذكره ان الشعراء الاوربيين حذوا حذو نظرائهم الاندلسيين في نظم قصائدهم من حيث البناء الشعري فيما يخص نظام القافية الذي لم يكن عندهم من قبل حيث نوعوا في القوافي و استعملوا التمسيط تأثرا بالوشاحين و الزجالين الاندلسيين

1- محمد عباسة ،الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور "ص(272،271،270)

2- محمد عباسة ،الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور "ص(273،272).

الذين عاصروهم ، كما قلدوهم ايضا فيما يتعلق ببناء القصيدة فاستعملوا المطلع والبيت والاقفال وايضا الخرجة .

2- الموضوعات الغزليـــــة :

أ- الحب المؤانس : أو الكورتوازية (**courtoisie**) هو الحب الذي يسمو بقيمة على اي حب فروسي اخر ، وهذا المفهوم يتميز بتجميد المرأة والخضوع لها حتى وان لم تبادل العاشق الشعور نفسه . ولهذه الاسباب اطلق شعراء التروبادور الكورتوازيون على هذا النوع من التقديس **" الحب الصافي "** (**FIN AMOUR**) ، فالعاشق يعمل المستحيل من اجل ارضاء سيدته والخضوع لها .

ان الحب المؤانس يظهر وكانه عقيدة او قانونا يلتزم به الشاعر العاشق لينال رضا سيدته وهذا يبدو قاس جدا ويلزم الصبر والتضحية وهو يكاد يكون مقصورا على النساء المتزوجات او الارامل امراء الاقطاع .

قد ورد هذا الموضوع في الشعر العربي واشتهر به العذريون الذين لم يكتب لهم الزواج بمعشوقاتهم ، ومع ذلك ظل هؤلاء الشعراء العرب يتغزلون بهن الى اخر ايامهم .

ان الحب الكورتوازي اصبح في القرون الوسطى من ضروريات الشعر الاكسيتاني ، التزم به الشعراء مدة قرون من الزمن ، وقد ذهب فريق من الدارسين الى ان ما ورد في الشعر الاكسيتاني نقل عن العرب في الاندلس .

ان شعر الحب المؤانس الذي جاء به شعراء التروبادور البروفنسيون لا يعكس واقع المجتمع الاوربي في ذلك الوقت ، وليس له اية صلة بالأدب الاوربي الذي سبق القرن الثاني عشر ميلادي ، وانما هو جزء من مقومات العرب .[1]

وهذا بشهادة الاوربيين انفسهم ، اذ يقول الكاتب الفرنسي ستاندال (Stendhal) :

" ان البحث عن نوع الحب الحقيقي يجب ان يكون البادية تحت خيمة العربي ".

لقد طرق العرب باب الحب العفيف منذ زمن بعيد ، وقد انتقل هذا اللون من الشعر الى بلاد الاندلسي ، ونظم فيه الكثير من الشعراء ، ثم انتقل الى بلاد الافرنج بالطرق نفسها التي انتقلت بها اغراض الشعر الاخرى من الاندلس الى اوروبا . ومهما يكن من امر فان طهارة

1- محمد عباسة ،الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور "ص(283،282).

الحب المؤانس الذي ورد في الشعر الاوكسيتاني عند التروبادور لم تسم الى درجة العفة العربية التي يتميز بها هذا اللون من الحب عند العرب .[1]

بعد **غيوم دي مونتانيا غول** (**Guilhemde Montanhagol**) هو اول تروبادور يتطرق الى العفاف في الشعر الاكسيتاني ، فهو لا يسمى عاشقا " من يخدع في الحب ويدعو سيدته الى ارتكاب الخطأ ، لان العاشق الحقيقي لا يقبل المساس بشرف سيدته " . و يذكر انه عاش في القرن الثالث عشر ميلادي .

أما العرب فقد ورد عندهم هذا الموضوع منذ الجاهلية ، فالعفاف لا يتجزأ من مقوماتهم واخلاقهم ، ثم ان الاسلام ايضا يحث المسلمين على العفاف .[2]

قال الله تعالى : " { وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ }".[3]

فلقد اشتهر الشعراء العرب به الا انه قل في الموشحات والازجال الاندلسية لارتباطها بالغناء واللهو ، وتجدر الاشارة ان الحب العفيف الذي ورد في الشعر الاوكسيتاني استورده التروبادور من الاندلس بواسطة الجونغليز .

ب- الحبيبة المجهولـــة : ظهر هذا النوع من الغزل لأول مرة في البروفنس على يد التروبادور ، وهو ما يسمى ايضا بالحب المستحيل والحب البعيد ، هذا الشعر يصور هموم الفارس واشتياقه لرؤية حبيبته التي لم يرها في حياته .

وكان الشاعر غيوم التاسع اول من تطرق الى هذا الموضوع في قصيدته من شعره بقوله :

Amigu ai ieu , no sai qui s es ,
Qu ancnonlavi , si m ajut fes ;
Ni mfes que m plass ani que m pes,
Nino m en cau ,
Qu anc non ac normanai Frances
Dins mon ostau

2- المرجع نفسه "ص(284،285).

1- محمد عباسة ،الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور "ص(285،284،286).
3- سورة النور :(الأية33).

وترجمتهـــــــــا :

عشقت امرأة لا اعرفهـــــــــــا

ولم ارها في حياتي ابـــــــــــدا

لا احسنت لي ولا اســـــــــاءت

وهذا لا يهمني مـــــــــــــادام

ليس في داري اجنبـــــــــــــي

لا نورمـــــــاني ولا فرنــــــــسي

في هذه القصيدة يقص علينا التروبادور غيوم التاسع كيف تعلق بحب امرأة لكنه لم يرها ابدا ، وهذا ما لم يقع في الشعر الاوربي من قبل . غير ان العرب كانوا قد تطرقوا الى هذا الموضوع في مختلف اشعارهم .[1]

ومع ذلك ذهب **بدزولا(Bezzola)** الى القول : **" ان الحبيبة المجهولة التي جاء بها الشعراء العرب هي امرأة حقيقية ، في حين ان الكونت غيوم التاسع تحدث عن امرأة خيالية "** لكن الكونت غيوم التاسع كان يتحدث عن سيدة مجهولة وليس خيالية .

وممن اشتهروا بموضوع **" الحب البعيد "(Amor de lonh)** امير بلايا الذي هام بحب كونتيسية طرابلس الشرق ، ولم يرها ابدا في حياته ، فنظم فيها شعرا كثيرا وصل منه الينا ثلاث قصائد فقط ، **يقول الشاعر من الاولى :**

Nuil hom no s meravill de mi
S ieu am so que ja no m veira,
Que l corjoi d autr amor nonha
Mas de cela qui eu ancno vi ,
Ni per sai quals bes m en venra,aa

وترجمتهـــــــــا :

لا تلوموني اذا عشقــــــــــت

من لم ترني ابـــــــــــــــدا

1- محمد عباسة ،الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور "ص(288،287،286).

فهي وحدها من تجعلني سعيـــدا

تلك التي لم ارها ابــــــــــــدا

اني بهذا الحب مقتنــــــــــــــع

وانا لا اعلم هل سيستحق ام لا.[1]

3- خصائص شعر الغـــــزل :

أ- شكوى الفتـــــاة : لقد ورد في الشعر الاوكسيتاني عند التروبادور امثلة كثيرة تصور لنا المرأة وهي تبكي فراق حبيبها .

وفي الشعر الاندلسي امثلة كثيرة في هذا الموضوع ، الا ان الموشحات تكاد تنفرد به . وقد جعل الوشاحون الكلام على لسان الفتاة في المقطوعة الاخيرة بما فيها الخرجة من موشحاتهم ، فمن ذلك قول **ابي القاسم المنشي في الخرجة :**

وربَ فتاة غنـــــــــت * اذا جاءت لــــــــــداره**

وتشكو له اذا حنـــــت * لبعد ديـــــــــــــاره**

وتشدو لما غنـــــــت * بقرب مــــــــــزاره**

غريم ام يامـــــــــــم * اكن يرتــــــــــاب**

مــم ياي اصطـــارمما * اسري اللسيـــــــــة**

والخرجة كما نرى بعض كلماتها عجمية يلجا اليها الوشاح لإخفاء حديث الفتاة مع امها عن الرقباء ، وقد وردت كلمة **" مـــم" بمعنى أمي** بعامية اهل الاندلس وأعجميتهم ايضا . وبالطريقة نفسها ورد هذا الموضوع عند عدد من الوشاحين الاندلسيين ، وكأنهم كانوا يحاكون بعضهم بعضا في هذا الموضوع ، لانهم اتفقوا على طريقة واحدة في الحديث عن شكوى الفتاة

إن هذا الموضوع اصيل في الشعر الاندلسي ، وقد ورد في الموشحات وفي الازجال ، وقد انتقل الى ما وراء البرانس فتناوله الشعراء التروبادور في قصائدهم وتناقله الذين جاءوا من بعدهم من شعراء اللغة الاوكسيتانية .[1]

2- المرجع نفسه "ص(288، 289)

ب- الوفاء والتضحيـــــة : في الشعر الاوكسيتاني يعاهد العاشق محبوبته على الاخلاص في حبه ويقسم لها بانه سيظل وفيا لها مهما كان الثمن ، ولن يبدل بها اخرى حتى وان تمادت في تمنعها .

إن فكرة العهد والوفاء للحبيبة والاخلاص لها لم يرثها الشعر الاكسيتاني عن الشعر الاوروبي القديم ، بل ظهرت لأول مرة مع ظهور حركة التروبادور . **فاوفيديوس** مثلا في كتابه **"فن الحب "** نجده يعلم الناس كيف يتحصلون من حبهم الاول من اجل حب جديد .

اما العرب فقد ذكروا هذا الموضوع في كتبهم واثنوا عليه ، ومنهم **"ابن حزم الأندلسي"** الذي افرد بابا لهذا الغرض في كتابه **"طوق الحمامة "** سماه **" باب الوفاء "** وقد صور لنا الشعراء القدامى ضروبا من الوفاء لم يسبق لها مثيل ، **فمن ذلك قول الشاعر ابي تمام الطائي :**

نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِن الهَوى * ما لحُـــــبُّ إلاّ للحَبيبِ الأوَّلِ**

كَمْ مَنزِلٍ في الأرضِ يألفُهُ الفَتى * وحَنينُهُ أبــداً لأوَّلِ مَنـــــزِلِ**

وقال عنترة العبسي في هذا المعنى ايضا :

لَو كانَ قَلبي مَعي ما اِختَرتُ غَيرُكُمُ* وَلا رَضيتُ سِواكُم في الهَوى بَدَلا.**[2]

وصدر العذريون عن شكوى صادقة وحرارة وايمان وتقوى وعفة ووفاء وتمنوا امرأة واحدة ، وقد جرى الادب العربي في اصالته على ان لا يذكر المحب اسم محبوبته .[3]

ثم انتقل هذا الموضوع الى الاندلس وتناقله الشعراء في قصائدهم وموشحاتهم وازجالهم ، يخلصون لحبيباتهم ويعاهدونهن بالحب الاول والاخر . **فمن ذلك قول الشاعر ابن رحيم الاندلسي من احدى موشحاته :**

يا شادنـــا احـــــــــوى * رفعــــــت امـــــــــــري**

اليــــك والشكــــــــــوى * عنـــوان صبــــــــري**

1- محمد عباسة ،الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور "ص(297،298،299).

1- محمد عباسة ،الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور "ص(308،307).

2- أنور الجندي :'خصائص الأدب العربي "دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ص(178).

لا تخشى ان اهـــــــوى * ســـــواك عمـــــــــري**

اغني عن النبـــــــــــراس * ضــــوء الصبـــــاح**

عرف المجتمع البروفنسي في العصور الوسطى بكثرة الطلاق ، وكان الدافع الى ذلك **يقول جوزيف انغلاد** (J. Anglade) : " هو التخلص من الزواج الاول من اجل علاقة جديدة اكثر ربحا ونفعا " ، وذهب **ستاندال الى ان :** "المساواة بين المرأة والرجل عند العرب هي التي دفعتهم الى الوفاء للعهد واحترام المراة .

لكن العرب لم يقروا المساواة بين الرجل والمرأة الا بعد ظهور الاسلام وهذا ما يؤكد ان الوفاء من تقاليد العرب واخلاقهم .

ويحدث في الشعر الاوكسيتاني ان يضحي العاشق بكل ما يملك من اجل الحفاظ على حبه اتجاه سيدته ، وهذا الذي نجده عند **جوفري روديل .**

ظاهرة التضحية من اجل الحبيبة والاستشهاد في سبيل الحب موضوع عريق في الادب العربي ، انتقل الى التروبادور عن طريق الاندلس فوظفوه في قصائدهم . [1]

مما سبق ذكره يمكننا القول ان الشعر العربي عامة والاندلسي خاصة قد اثر في شعر التروبادور فنهجوا نهجهم وقلدوهم في معظمهم ما يتعلق بالشعر،من حيث بناء القصائد وكذلك الموضوعات التي تناولوها .

1- محمد عباسة ،الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور "ص (308،309،310).

خــــاتمـــــــــة

خاتمة :

شهدت بلاد الأندلس منذ أن دخلها العرب المسلمون قفزة في جل الميادين ، منها الدين والعلوم والأدب ، وهذا الأخير الذي ارتقى من مرحلة لأخرى حسب البيئة والزمن ، فكان الشعر منه نوعًا أدبيًا زاخرًا حيث نهج الأندلسيون نهج سابقيهم من المشارقة فقلدوهم في معظم الأغراض ، ثم أخذوا بعد ذلك يتوسعون في فنون أخرى حسب ما تقتضيه الضرورة إلى أن استحدثوا وابتكروا فنونًا شعريةً جديدةً ومنها الموشحات والأزجال فكانت بحق تميزاً اختصوا به ، حيث أبدعوا وتفننوا في نظمها كمًا وكيفًا ، وهذا الذي جعل أدبهم راقياً وشعرهم ملهماً.

لقد بنى شعراء الأندلس موشحاتهم وأزجالهم بطريقتهم الخاصة تؤكد استحداثهم لهذه الفنون ومنها : المطلع والأسماط والأقفال والخرجة، ونظموا في موضوعات : منها الغزل والمدح والخمريات لأنها تستدعي ذلك ، ثم ذهبوا إلى خصائصها فيما يتعلق مثلاً بشكوى الفتاة والوفاء والتضحية .

هذا ما جعل شعراء التروبادور خلال العصور الوسطى يحتكون بنظرائهم الأندلسيين فحذوا حذوهم وقلدوهم وتأثروا بهم في معظم ما يتعلق بهذه الأنواع المستحدثة وهذا إن دل إنما يدل على أن الشعر الأندلسي بلغ ذروته ومكانته المرموقة خلال ذلك الزمن .

الملاحق

الملحق رقم : 1

قصر قرطبة



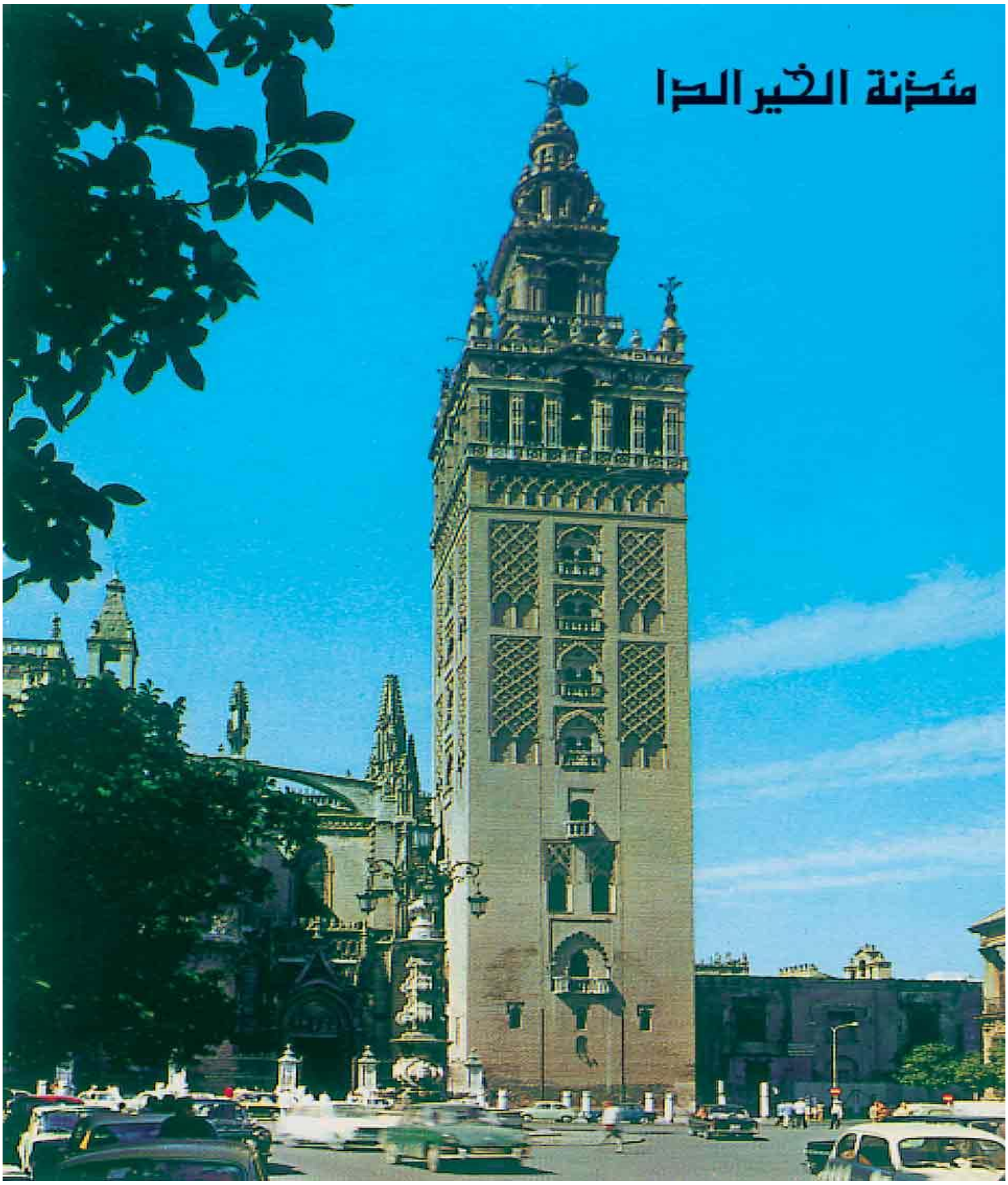
الملحق رقم : 2

قصر الحمراء ـ غرناطة



الملحق رقم :3

مئذنة الخير الدا بإشبيلية



قائمــة المصــادر و المـــراجـــع

❖ **القرآن الكريم : رواية ورش عن نافع .**

1- المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1)- ابن هانئ الأندلسي ، " الديوان " الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 .

2)- ابن رشيق القيرواني " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 ، ج 1.

3)- ابن خلدون "المقدمة "دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت، 2012، مجلد 1

4)- ابن خلدون" المقدمة " حققها وقدمها وعلق عليها عبد السلام الشدادي ، بيت الفنون والعلوم والآداب ، الجزائر ، ج 3 .

5)- إبن خفاجة الأندلسي " الديوان " الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 .

6)- إبراهيم قلاتي " قاموس الهدى" دار الهدى ، الجزائر ، 1997.

7)- أحمد بن المقري التلمساني " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، تحقيق إحسان عباس ، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2008، المجلد 1 .

8)- البستاني " منجد الطلاب " دار المشرق ، بيروت ، 1986، ط 46.

9)- الزمخشري " أساس البلاغة " راجعه وقدمه له إبراهيم قلاتي ، دار الهدى للطباعة والنشر و التوزيع ، الجزائر .

10)- الرازي " مختار الصحاح " دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1979.

11)- أنور الجندي " خصائص الأدب العربي " دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

12)- حسين نصار " الشعر الشعبي العربي " منشورات اقرأ ، بيروت ، ط 2 ، 1980.

13)- محمد بن أبي شنب " تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب " مكتبة الأميركا والشرق ، أدريان ميزونف ، باريس ، ط 3 ، 1954.

14)- مصطفى صادق الرافعي " تاريخ آداب العرب " دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط 1 ، 2010، ج 3.

15)- عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز في علم المعاني " صححه محمد عبده ومحمد الشنقيطي ، وعلق عليه محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1981.

16)- عمر فروخ " تاريخ الأدب العربي " دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، 1981، ج4 .

17)- ياقوت الحموي " معجم البلدان " تحقيق وستنفيلد ، دار بيروت للطباعة والنشر ، للبنان ، 1984، المجلد 1 و 3.

ثانيًا: المراجع:

1)- الحفناوي أمقران - جلول ويلس " الموشحات والأزجال" منشورات السهل ، الجزائر ، 2009، ج 1 .

2)- جرجي زيدان " فتح الأندلس" المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2007.

3)- محمد عباسة " الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور " دار أم الكتاب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1، 2012.

4)- عبد العزيز عتيق " الأدب العربي في الأندلس " الناشر: دار النهضة العربية للطباعة" 1995.

5)- يوسف عيد " الشعر الأندلسي وصدى النكبات " دار العزة والكرامة للكتاب ، وهران ، ط1 ، 2013.

ثالثًا: الكتب المترجمة:

1) - إستانلي لين بول Stanley Lane-Poole " قصة العرب في إسبانيا ترجمة " علي الجارم ، دار المعارف بمصر ، 1119.

رابعاً : المجلات:

1)- إسماعيل نقاز : رسالة المسجد " الوطن والمواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر " السنة الثامنة ، العدد الرابع ، الجزائر ، ربيع ثاني 1431هـ - أفريل 2010.

فهـــرس المحتويات

فهرس المواضيع

إهداء

❖ المقدمة.. (أ–ب)

❖ المدخل:(تاريخ الأندلس وجغرافيتها):.................................... (9–3)

1)– نبذة عن الأندلس:.. 5

2)– مساحتها وأبعادها:.. 6

3)– مناخها وخيراتها:.. 6

4)– الأمم التي إستوطنت الأندلس :.. 8

❖ الفصل الأول: (دخول العرب إلى الأندلس):.............................. (10–22)

1) – موجة الفتح:.. 12

2)– المدن الأندلسية: 15

3) – أسباب سقوط الأندلس:.. 19

❖ الفصل الثاني: (الشعر في الأندلس):.................................... (67–23)

1)– الشعر الأندلسي والتقليد:.. 25

2)– فنون الشعر الموسعة:.. 31

3)– فنون الشعر المستحدثة:.. 38

أ– الموشحات والأزجال الأندلسية:.. 38

ب– رثاء المدن والممالك:.. 64

❖ الفصل الثالث: (الجانب التطبيقي: أثر الموشحات والأزجال الأندلسية في شعر التروبادور):.. (79–67)

69

1)- البناء الشعري:.. 69

أ- نظـام القافيـة:.. 71

ب- بناء القصيدة:.. 73

2)- الموضوعات الغزلية:..

أ- الحب المؤنس:.. 73

ب- الحبيبة المجهولة:.. 75

3)- خصائص شعر الغزل :.. 76

أ- شكوى الفتاة:... 76

ب- الوفاء والتضحية:.. 77

❖ **الخاتمة:**.. 81

❖ **الملاحق :**... 82

❖ **قائمة الصادر و المراجع:**.. 86

❖ **فهرس الموضوعات:**.. 89